A Comparative Study of Momin Khan Momin and Abu Ubada - Al - Bohtori , Their poetry and Art

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University in partial fulfillments of the requirements for the award to the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

Rashid Alam

Under supervision of :
Dr. F. U. Farooqui
Center Of Arabic and African Studies
School Of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi - 110067

INDIA
1997

رسالة البحث
للماجستير في الفلسفة

بَينَ مومِن خان مومِن و أبي عُبادة البُحتري
المُشاركَـــةُ الفِكريَّـــةُ و الفَنِّيّـــةُ
دِراســـةٌ مُقارَنـــةٌ

الباحث :-

راشد عالم

تحت إشراف:-
الدكتور فيضان الله الفاروقي
مدرسة اللغات / مركز الدراسات العربية و الإفريقية
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دهلي -67

1997

जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय
JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY
NEW DELHI - 110 067

CENTRE OF ARABIC AND AFRICAN STUDIES
SCHOOL OF LANGUAGE

CERTIFICATE

This is to certify that the dissertation entitled "**BAINA MOMIN KHAN MOMIN WA ABI UBADATIL-BOHTORI, AL-MUSHAREYKATUL-FIKRIYA WAL-FANNIYA, DERSA MUQARYNA**" (A comparative study of Momin Khan Momin and Abu Ubadatil Bohtori, their Poetry and Art) submitted by **RASHID ALAM** in partial fulfilment of the requirements for the award of the Degree of **MASTER OF PHILOSOPHY** of this University, is his original work. To the best of my knowledge this work neither in part nor in full has ever been submitted to any university/institution for the award of the same degree.

R. F.U. FAROOQUI
Supervisor

PROF. M.ASLAM ISLAHI
Chairperson

GRAM : JAYENU TEL. : 6107676, 6167557 TELEX : 031-73167 JNU IN FAX : 91-011-6865886

الإهداء إلى :

أبي المشفق وأمي العطوف وإخوتي وأخواتي

كلمة الشكر

أحمد الله حمدا كثيرا من صميم قلبي على أنه منحني هذه الأوقات الثمينة للبحث والتحقيق ودلني طريقا مستقيما لإكمال الماجيستر في الفلسفة. وبعد أشكر لجميع أساتذتي الذين واصلوا لياليهم بنهارهم في إيقاد شعلة رغبة العلم في نفسي وبصفة خاصة أشكر شكرا جزيلا للأستاذ المشرف ، **فيضان الله الفاروقي** ، الذي إقترح لي هذا الموضوع للبحث و لم يال جهدا في إكمال هذا ألبحث وشرفني بآرائه القيمة السديدة و بدونه لا يمكن لي من أن أكمل هذه الرسالة.

كذلك أشكر لزوجتي التي ساعدتني حسب المستطاع في إكمال هذه الرسالة وأشكر لجميع أعضاء المكتبة العامة لجامعة جواهر لال نهرو وبصفة خاصة أشكر شكرا جزيلا لسيد محفوظ علي - المعتمد المساعد للمكتبة - الذي ساعدني بكل إمكانيته في توفير مواد البحث. وأشكر لجميع أصدقائى الذين ساعدوني في إعداد هذه الرسالة وأخص بالذكر الأخ محمد ألطاف حسين والأخ مجيب الرحمان ، والأخ أشفاق أحمد ، والأخ نسيم أختر، الذين ساعدوني بآرائهم وإقتراحاتهم وشجعوني على كتابة هذه الرسالة.

والله الموفق والمستعان.

جامعة جواهر لال نهرو - نيو دهلي - 1997

راشد عالم

المقدمة

لا يخفى على دارس التاريخ والثقافة أن الهند كانت لها ثقافة ممتازة منذ القرون والعصور ، تفردت بها بين أقوام العالم من الصين واليونان ومصر. واتفق الباحثون على أساس الاكتشافات الجديد ة أن الحضارات الهندية عتيقُ الهعد بالنسبة إلى ثقافات أخرى من بين الأقوام المتمدنة آنذاك. فالاكتشافات التي تمّ في سند وفي المواضع المتجاورة من موهنجودرو وإلى غير ذلك تسفر عن الثقافات والحضارات المتداولة في عصور تصل إلى ما بين 4000 و 5000 عام قبل الميلاد. ولكن هذه الثقافات تروي لنا حكايات عن طريق العيش ومجرى الحياة والأوضاع الاجتماعية والدينية والتقاليد المحلية. وفي نهاية المطاف نصل إلى نتيجة هي أن الأقوام التي كانت تحتل أراضي الهند آنذاك كانت على ذروة الثقافة والتمدن نظرا إلى ما أكتشف عن المباني الشاهقة والشوارع الواسعة للمرور والمدن المخططة تحت نظام خاص وإلى غير ذلك من المكتشفات يعرف هذا العهد في تاريخ الهند كعهد قبل ويدانتا. وأجمع الباحثون على أن هذا الشعب كان الآرية ونعرف أيضا من خلال التاريخ ونتائج البحث أن الوطن الأصلي للآريين كانت هي شبه جزيرة العربية في قرون لا عثور عليها لتاريخنا المعاصر (1). لقد ألقى الضوء على هذا البحث الدكتور شوقي ضيف في مقدمة كتابه الشهير "الشعر ومذاهبه" ولم يكتبه هو من عنده الهم إلا أنه اعتمد على كتب تاريخية أشار إليها في الهوامش يمكن لنا من أن نستنتج أن الأقوام التي كانت تحتل الهند وآسيا الوسطى كانت هي شعب واحد دما ونسبا وهي التي خرجت من قلب شبه الجزيرة العربية موجات بعد موجات في مختلف العصور ليست عندنا علم قطعي عن هذا.

وعلى كل حال أن الآريين هم الذين قد سيطروا الأقوام المحلية سواء كان الهند أو بلاد أخرى حضارة أو ثقافة ودينا وتقليدا. ولكن شبه الجزيرة العربية – كما يشهد به التاريخ – لم تكن تحت أي سيطرة أو قوة أجنبية في أي عصر من العصور. فلا نجد وسمة الاستعباد على ذيولهم ولذا كانوا يجرونها في خيلاء.

فإذا توافقت الثقافات فمن الطبيعي أن الفكرة والتقاليد والميول الذاتية والنفسية تتقارب بعضها بعضا إلى حد الاتصال. نجد نفس الحقيقة حينما ندرس عن الثقافات العربية والهندية فانه كانت بينهما علاقة وارتباط شامل عبر القرون نجد تفاصيله في كتب التاريخ والحضارات.(2)

---

(1) History of Arabs By P.K. Hitti upto P. 80 (2) راجع إلى The Cambridge history of Arabic literature Umayyed period Preface upto P. 15 وأيضا راجع إلى عرب هند تعلقات و عربون كى جهاز رانى لسيد سليمان الندوي

فمن الحقائق التاريخية أن العرب كانوا يستأجرون بالهند في القرون بعد الميلاد وقبلها وكانت آنـــذاك المـــدن الرئيسية للتجارات العربية في جنوب الهند. وبهذا الاتصال من خلال التجارة كانت هناك تبادل الثقافات بجنب المواد التجارية حتى تأثرت اللغات العربية والهندية بهذه العلاقة. ويستخدم مثلا إمرؤ القيس كلمة "قرنفل" في شعره :

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ليس هناك أي غموض في أن كلمة "قرنفل" مأخوذ من الهندية "كرن بهول" بمعنى زهرة الأذن وبمعنى Clove في الإنجليزية فاستعربه العرب بكلمة "قرنفل". وكذا كلمة "بر شغال" في العربية مستعربة من ورشا + كـــال أي فصل المطر. وكذا نجد مآت من الكلمات في اللغة الهندية أتت من خلال اللغة العربية وهذا قبل ظـــهور الإسلام . أما بعد ظهور الإسلام وسيطرته على البلاد الهندية تولدت لغة تسمى "بالأردية" تبنى علـــى اللغـــة العربية وتجد آلافا من الكلمات العربية في اللغة الهندية المعاصرة.

ولسنا نطيل إذ نقطع شوطا في سيرنا هذا حول التطورات الحضارية التي ازدهرت في العصور المتوســـطة وخاصة في العصر العباسي الأول. فقد ذكر المؤرخ الشهير الشيخ العلام شبلي النعماني في كتابه "المـــامون" عن إثراء الثقافة العربية من خلال التراجم الكتب الأجنبية وأورد غير قليل من أســـماء الأطبـــاء والفلكيـــن الهنادك الذين وفدوا بغداد عاصمة العباسيين آنذاك وساهموا في النشاطات العلمية في حقل الترجمة (1) وكذا ذكر الشيخ عبد السلام القدوائي في كتابه "تاريخ الحكماء" كثيرا من علماء الهنود الذين ساهموا في النشاطات العلمية. هذا كان من بوادر التصادم والتبادل بين الثقافتين.

ومن العجب أن المؤرخين القدامى وأيضا المعاصرين منهم لم يتناولوا الأدباء والشعراء كموضوع لبحوثهم في اتجاهات التواردات الفكرية وتوافق الآراء والنظريات في منتوجاتهم الشعرية أو النثرية ، مرّوا مرور عـــابر سبيل بهذه الحقيقة المشرقة المشعة. لسنا نبالغ إذا قلنا أن التزهد أو الإغماض عن هذا الجانب الهام قد أغلـــق على الأجيال الآتية أهم أبواب التفاهم للثقافتين. فقد ذكروا أسماء العلماء والزعماء الديني والعباقرة في شتـــى المجالات وأوردوا في كتبهم أعمالهم القيمة بكل تفاصيل أو بعضها. ولكن لا نجد ولو كتابا واحدا يقارن بيـــن شاعر وشاعر من بين الثقافتين.

---

(1) المامون : باب الطب والنجوم

والحق يجدر بالذكر هو أن الأحاسيس والعواطف والميول الذاتية والصبغة المحلية الطبيعية والفكرة لشعب أو لمجتمع ما، لمتعذر المنال إلا من خلال المنتجات العاطفية والفنون اللطيفة وأفضل صورة تمثل هذه الإبرازات هو الشعر. فلذا وددنا أن نتناول هذا الموضوع لبحثنا من هذا المجال وهو المقارنة بين الثقافتين من ناحية الشعر. وقد قام بعض الباحثين من جامعتنا بالدراسة المقارنة في هذا النطاق. وهذا البحث هو حلقة من سلسلة الدراسات المقارنة بين الشاعر الأردي والعربي.

وهذا البحث سينكشف أمامنا التوافق الدقيق والتوارد من غير شعور في الأعمال الفكرية والفنية للشاعرين الأردي والعربي. فلو أنهما ينتميان إلى بلدين مختلفتين وحال بينهما خليج واسع للزمن والمكان واللغة والجنس ، ولكنهما يشتركان في فنونهما الشعرية وأعمالهما الفكرية مشاركة كأنهما ولدا في زمن واحد وتنفسا في بيئة واحدة وتفكرا في نطاق واحد.

إنهما أبرزا العواطف الإنسانية والنفسية البشرية وبينا الحقيقة بأن الشعور والوجدان لم يزل ولا يزال تشترك في النفوس البشرية. لأن العواطف البشرية تتعلق بالحب والبغض والفرح والسرور والصداقة والعداوة وعلى هذا الأساس يتدفق نبض الحياة البشرية. فتتميز الأعمال الفنية لهذين الشاعرين بهذه الميزات وتتصف بهذه الخصائص. فانهما شاعران غنائيان يكشفان أسرار الحياة الكامنة ويبرزان العواطف وخفايا القلوب. ويوردان في كلامهما بأن الحب هو مصدر رئيسي لحفق القلوب واهتزاز النفس. والإباء والاعتزاز بالنفس من طبيعة الإنسان وتجري الحياة على فلسفة "من لم يكرم نفسه لا يكرم". والشكر والاعتراف بمأثر العظماء من الأخلاق الحسنة ، "فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله".

قبل ممارسة البحث ، قد بذلت جهودا حسب المستطاع في جمع المواد المتعلقة بموضوع الرسالة. فأولا رجعت إلى ديوان الشاعرين كليهما وقرأتهما بكل إمعان النظر ودرستهما دراسة نقدية مراعيا بأقوال النقاد القدامى والمحدثين عن هذين الشاعرين ووصلت في نهاية الأمر إلى نتيجة بأن هناك مشاركة عميقة بين الشاعرين من حيث الهيئة الداخلية والخارجية للشعر وخاصة في مجال العاطفي والوجداني والنفسي والذاتي للشعر.

وبدأت دراسة تحليلية للأعمال الشعرية لهذين الشاعرين فوجدت أن الشاعر الأردي - مومن خان مومن - الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري في الهند ، قد تصرف في كل الأصناف الشعرية من الغزل والمثنوية والرثاء والقصيدة وواسوخت ولكنه امتاز في الغزل وتفنن في موضوع المغازلة .

وكذا وجدت أن الشاعر العربي – أبي عبادة البحتري – الذي عاش في القرن الثالث الهجري في العرب ، قد تصرف أيضا في كل الأصناف الشعرية من الغزل والمدح والرثاء والهجاء والفخر والعتاب ولكنه امتاز في الوصف والتصوير عن أخلاق الممدوح بحيث لا يأتي به معاصروه.

أما المنهج الذي اخترت في إعداد هذه الرسالة هو المنهج الموضوعي. فقسمت هذه الرسالة إلى أبواب وفصول تيسيرا للبحث. وإستفاد لي من أجعلها في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : الشعر كما هو . وقد قسمته إلى ثلاثة فصول. وحدثت فيها عن : تعريف الشعر وأنواعه ، وبين الشعر والنظم ، وإغراض الشعر وتأثيره ، والشعر الأردي في القرن الثالث عشر الهجري ، والشعر العربي في العصر العباسي الثاني.

الباب الثاني : حياة الشاعرين العبقريين وأعمالهما الفنية : وقسمته إلى فصلين وناقشت فيه عن : مومن خان مومن وحياته وفنه ، وعن أبي عبادة البحتري وحياته وفنه ببعض من البسط والتفصيل.

الباب الثالث : المشاركة الفكرية والفنية بين الشاعرين : وقد قسمته إلى فصلين وأوردت فيه : الاشتراك الفكري بين الشاعرين في الهيئة الداخلية للشعر من حيث النسيب والغزل ، والإباء ، والندرة ، والتعبير عن الخوالج النفسية الذاتية ، والاشتراك الفكري في الهيئة الخارجية للشعر من حيث الموسيقى الشعرية ، وانتقاء الكلمات ، والمشاكلة بين اللفظ والمعنى. في نهاية المطاف أوردت كلمات من عندي وها هو خلاصة البحث.

أرجو أن يكون هذا العمل المقارن سببا من أسباب المؤدة الإخاء والتفاهم والتقارب بين الشعوب الهندية والعربية. فقد وضعت في هذه الوجهة لبنة أساسية وأرجو التكرم من فضلاء الكرام بإعطاء هذه الرسالة أذنا صاغية ونظرة متأملة. فيتناول نفس البحث كموضوع لأعمالهم القيمة حتى تنفتح أبواب جديدة في هذا المجال كمساعدة على التقرب الفكري للجانبين. وأرجو أن يلعب هذا البحث دورا حيويا في التبادل الثقافي والأدبي بين الهند والعرب وأن يشيد جسرا قويا للرحلة الأدبية بينهما ويكون نموذجا حيا للناشئين والأجيال القادمة لهذين البلدين في الدراسة الأدبية المقارنة. وفي الأخير أدعو الله أن يجعل هذا العمل نافعا لكل من يرغب فيه وعليه التوفيق فهو نعم المولى ونعم الوكيل.

راشد عالم

1997 / 7 /19

الباب الأول: الشعر كما هو

10101 تعريف الشعر
10101 بين الشعر والنظم
10101 أنواع الشعر
10101 أغراض الشعر وتأثيره
10102 الشعر الأردوي في القرن التاسع عشر الميلادي
10103 الشعر العربي في العصر العباسي الثاني

تعريف الشعر

إن تحديد الشعر تحديدا وافيا أمر يتطلب البحث و التحقيق و الرجوع إلى أقوال النّقاد المتقدمين و المتأخرين. فلنقف قليلا لكي نطّلع على الآراء و الأقوال في تعريف الشعر:

قال **بعض العرب** "إن الشعر هو الكلام الموزون و المقفى "(1). و كما قال **بعض الإفرنج** "أى كلام موزون يسمّى شعرا سواء كان جيدا أو رديئا "(2). وقال **أبو الهلال العسكري** : "الشعر كلام منسوج و لفظ منظوم و أحسنه ما تلاءم نسجه و لم يسخف، و حسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفا بغيضا ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلا دونا "(3). وقال **ابن خلدون** : "الشعر هو الكلام المبنى على الاستعارة والأوصاف المفصّل بأجزاء متّفقة في الوزن والرّوى مستقل كل جزءٍ منهما في غرضه ومقصده عمّا قبله وبعده الجاري عل أساليب العرب المخصوصة "(4).

وقد ذكر **صاحب الأغاني** عن الشعر قائلا :"الشعر كلام وأجوده أشعره "(5). و قال **الجاحظ** : "الشعر شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا "(6). وقال **رسكن** : "إنه إبراز العواطف النبيلة بطريق الخيال "(7). وقال **وردسووث**: "الشعر هو الحق ينقله الشعور حيّا إلى القلب "(8).

وقد أخذ **طه حسين** القول في الشعر "...هو الكلام المنظوم الذي يعتمد صاحبه على الخيال ويقصد فيه إلى الجمال الفنّي "(9). وقال **أحمد حسن زيّات** : "الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبّر عن الأخيلة البديعة والصّور المؤثرة البليغة "(10). وقال **جبّور عبد النّور** : "الشعر فن يعتمد الصورة والصوت والجرس والإيقاع ليوحي باحساسات وخواطر"(11). وقال **جرجي زيدان وحسن جاد حسن** :"الشعر من الفنون الجميلة يسمّيها العرب الآداب الرفيعة، وهى الرسم والموسيقى والشعر. ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة. وكل منها يعبّر بطريقته الخاصّة عن تجربة نفسية. فالرسم يعبّر بالألوان و الظلال. والموسيقى تعبّر بالإيقاع والأنغام. والشعر يعبّر بالألفاظ والكلمات و يصوّر الطبيعة بالخيال فهو لغة النفس أو هو صُورٌ ظاهرة لحقائق غير ظاهرة "(12).

---

(1) شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون لمحمد يوسف مقلد ص 193. (2) المصدر السابق ص 193 (3) كتاب الصناعتين للعسكري (4) مقدمة ابن خلدون (5) الأغاني ج/18 (6) البيان والتبيين ج/3 (7) شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون لمحمد يوسف مقلد ص 194. (8) المصدر السابق (9) في الأدب الجاهلي لطه حسين ص 309 (10) تاريخ الأدب العربي للزيات ص 28 (11) المعجم الأدبي للجبور عبد النور ص 149 (12) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ص 53 و دراسات في النقد الأدبي لحسن جاد حسن ص4

فإذا لاحظنا إلى هذه الأقوال التي ذكرناها آنفا وصلنا إلى نتيجة كاملة بأن هناك ثلاثة أقوال من حيث المجموع.

- الشعر هو الكلام الموزون و المقفى فحسب كما ذهب إليه بعض العرب والإفرنج و أبو الهلال العسكري وابن خلدون.
- الشعر هو نقل الشعور والعواطف بطريق الخيال كما ذهب إليه صاحب الأغاني والجاحظ و رسكن و وردسووث.
- الشعر هو الوزن والقافية مع العناية بالشعور والوجدان كما ذهب إليه الدكتور طه حسين وأحمد حسن زيّات وجبّور عبد النّور وجرجي زيدان وحسن جاد حسن.

فالوزن والقافية فحسب ليس شعرا كما زعم الطبقة الأولى بل إنهما يجملان الشعر ويزيدان الرونق والبهاء كما يقول جرجي زيدان "..فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقى في الألفاظ و الحركات لا من قبيل المعنى"(1). ويؤيد مولانا ألطاف حسين حالي هذا الرأي بقوله "الوزن للشعر مثل الألفاظ للغناء فكما أن نفس الغناء لا يحتاج إلى الألفاظ كذلك الشعر لا يحتاج إلى الوزن...ولكن هذا أمر لا شك فيه بان الوزن يزين الشعر ويضعّف التأثير"(2). فعلى سبيل المثال إذا قرأنا لبعضهم نثرا يصف به ذهوله في الحب فيقول : إنّ حبيبتي درّة رونقا و بهاءً، يخرجه البحر إلى ساحله. فهذا معنى شعري ترتاح إليه النفس كما زعم الطبقة الثانية. ولكن ارتياحها يكون أكثر إذا نظم ذلك المعنى شعرا كقول أبي العتاهية في حبيبته عتبة :-

كأنها من حسنها درّة أخرجها اليم إلى ساحل

وهذا هو تعريف الشعر في الحقيقة كما زعم الطبقة الثالثة.

فملخص القول هو أن الجمال الفنّي والخيال والعاطفة والجرس والإيقاع والوزن والقافية عناصر تكوّن الشعر. أو يمكن لي من أن أقول بأن القيمة الشعورية (الفكرة والعاطفة) والقيمة التعبيرية (الخيال والأسلوب) هما عنصران يكتمل بهما الشعر. "فالأمر الذي يميز الشاعر عن غيره هو الفكرة فإذا كانت الفكرة قوية يكون إيقاع الشعر أكثر. أما إذا كانت الفكرة ضئيلة لا يكون له الإيقاع المرجوء. فإذا كان المرء يمتاز بالمعرفة الكاملة بالنفس البشرية وهو يمتلك ناصعة الأدب واللغة، ولكنه بعيد عن القوة المتخيلة، فلا يكون شاعرا أبدا"(3)

---

(1) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج/1 ص53 (2) مقدمة شعر وشاعري لألطاف حسين حالي ص 43 (3) المصدر السابق ص 43

فالشاعر العظيم يقول شعرا حينما تستولي عليه فكرة ثم يتأثر بتلك الفكرة بشعور صادق ثم يودي الفكرة التي انفعل بها الشاعر في صورة مثيرة تلعب بالعواطف وتأخذ بالمشاعر وتستحوذ النفوس مع العناية الكاملة بالأسلوب ونظم الكلام وحسن اختيار الألفاظ وتأليفها. وبهذه الطريقة يظهر نموذج شعري جيّد.

بين الشعر والنظم

يتضح الأمر أمامنا بأن الشعر هو الذي يتكون من الوزن والقافية مع أنه كان له اتصال حميم بالشعور والوجدان كما ذكر محمد يوسف مقلد " فالشرطان اللذان يجب توافرهما في الشعر هما الوزن والقافية والاتصال بالشعور"(1). فإذا وجدت نوعا من الأدب بجمعهما كان شعرا. وإذا وجد الشرط الأول دون الثاني فنظم لا شعر وإذا وجد الثاني دون الأول فنثر شعري وهو الذي يكاد يصبح شعرا لو لا أنه فقد الوزن. وهذان الشرطان يخرجان أنواعا كبيرة مما اعتاد الناس أن يسموه شعرا وليس بشعر، كألفية ابن مالك والمتون المنظومة. ويؤيد **جرجي زيدان** بقوله "... ولكن علماء العروض من العرب يريدون الشعر الكلام المقفى الموزون فينحصرون حدوده بالألفاظ وهو تعريف للنظم لا للشعر وبينهما فرق كبير إذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر"(2).

فيستنتج من هذا الأمر بأن الكلام إذا كان موزونا ومقفى فحسب فهو نظم ولا يتناول إلا الشكل أو الهيئة الخارجية للشعر التي تزيده رونقا وبهاءً. وإلى ذلك أشار ابن خلدون : "إنه لا يصلح إلا عند العروضيين ولا عند البلاغيين"(3).

فالناظم لا يهتم في نظمه بالشعور والعاطفة بل يريد به تقديم موضوع علمي في النحو والطب والفلك وتسهيل قواعد اللغة مع العناية بالقافية والوزن فحسب. فتعريف أبي الهلال العسكري وابن خلدون يدخل من باب النظم لا من باب الشعر.

---

(1) شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون لمحمد يوسف مقلد ص 193. (2) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج/1 ص 53 وأيضا شعر غير شعر نظم لشمس الرحمان الفار وقي (3) المصدر السابق

أنواع الشعر

كما نجد في الأدب العربي والأردي بأن النقاد ينقسمون الشعر إلى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل وغيرها من الأغراض. وهذه كلها في نظر الشاعر الغربي نوع من أنواع الشعر يسمونه الشعر الغنائي أو الموسيقى لأن مرجعه إلى التأثير على النفس تأثير الموسيقى.

ويقسم الشعر عند الإفرنج إلى أربعة أنواع :

1- **الشعر القصصي (Epique)** 2- **الشعر الغنائي (Lirique)**

3- **الشعر التمثيلي (Dramatique)** 4- **الشعر التعليمي (Didactique)**

1- **الشعر القصصي:-** هو نظم الوقائع الحربية والمفاخر القومية ومناقب الأبطال في شكل قصة طويلة كالإلياذة والأنياذة والشاهنامة والمهابهارتة. وقد وصف أحمد حسن زيات في كتابه "تاريخ الأدب العربي" قائلا :

" الإلياذة ملحمة يونانية نظمها هوميروس في حروب طراودة. وهى تمثل الحضارة اليونانية أصدق تمثيل. والإنياذة ملحمة نظمها فرجيل أكبر شعراء الرومان (70 - 19 قبل الميلاد) قلد بها إلياذة هوميروس فأبدع. والمهابهارتة ملحمة هندية نظمها (فياسة) أحد كهان الهنود باللسان السنسكريتي قبل الميلاد بقرون يصف فيها الحروب التي نشبت بين البانفدس والكورس؛ وهى تبلغ مائتي ألف بيت. والشاهنامه ملحمة فارسية نظمها الحسن بن إسحاق الفردوسي المتوفى سنة 411 ه في تاريخ الأكاسرة و أخبارهم ووصف الحرب التي اشتعلت بين أهل إيران وأهل طوران وقد نقلها إلى العربية نثرا الفتح بن علي البنداري الأصفهاني وقدمها إلى خزانة أحد الملوك الأيوبيين". (1)

في العصر الحديث نظم أحمد المحرم "الإلياذة الإسلامية" في اللغة العربية (2) إقتداء باليونانية وكذلك نظم حفيظ جالندهري "شاهنامة إسلام" في الأردية إزاء الشاهنامة للفردوسي بالفارسية.

---

(1) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص 32 (2) راجع تطور الأدب الحديث في مصر للدكتور أحمد هيكل ص 285

ففي هذا النوع من الشعر يذكر الشعراء أوصاف أبطالهم غير العادية بأسلوب يقوم على المبالغة والإغـــراب. وهذا لا ينافي الشعر القصصي لأن الشعراء يعتمدون فيه على الأخيلة الواسعة ويسردونها بطريقة يبرز فيها عظمة الشعر. لأن العظمة والإجلال شيء مهم في الشعر القصصي وهو داعية إلى القوة المتخيلـــة ونتيجـــة لذلك يركن الشاعر إلى المبالغة في بيان أوصاف الأبطال المحمودة.(1)

وكذلك نجد الملحمة الوطنية مثل "البرونامة" (Broneth). وانصرف بعض الشعـــراء إلـــى نظـــم الملاحـــم الرومانطقية فكان أقدمهم فخر الدين الكركاني في أواسط القرن الحادي عشر وجاء بعده النظامي هو شـــاعر من الطبقة الأولى بزّ الشعراء في أدب الملحمة الرومنطقية. فحذا بحذوه كثير من الشعراء بينهم هـــرا جـــو وأمير خسرو الدهلوي والجامي والهاتفي وفيض ذكي.(2)

أما في العصر القديم فلا يوجد عند العرب هذا النوع إلا قليلا في الجاهلية فإنهم خاطبوا بها اللات والعـــزى وغيرها ولكن منظوماتهم في هذا الموضوع ضاعت في ثنايا الأجيال لعدم تدوينها كما أشـــار إليـــه جرجـــي زيدان في كتابه.(3)

---

(1) ادب كا مطالعه لأطهر برويز في باب تعريف الشعر (2) تاريخ زمرد الأدب العربي الحديث حكاية ألف ليلة وليلـــة أدب ونقـــد لشفيق معلوف (3) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج/1 ص 53

2- **الشعر الغنائي:-** اختلف القدامى والمحدثون في تحديد الشعر الغنائي. فـــانطلق الفريـــق الأول من الشكل الخارجي وانطلق الفريق الثاني من المضمون في تعريف به. وذلك لأن القدامى كانوا يغنون الشعر فيرتبون أبياته بطريقة تيسر لهم إنشاده وترتيله. في حين أن المحدثين نظروا إليه على أنه تعبير عـــن العاطفة الإنسانية ومع ذلك فقد أجمعوا كلهم على أن الشعر الغنائي هو غناء النفس.

فالشعر الغنائي هو الذي يعبر عن انفعالات الشاعر الذاتية وما يكتنف وجدانه من خواطر وأحاسيس وعواطف مختلفة. وأهم أغراض هذا اللون من الشعر الوصف والغزل والرثاء أي تعداد صفات الميت الحسنة والهجاء أي السبّ والإعابة والمدح أي إطراد صفات الآخرين والفخر أي مدح النفس أو القبيلـــة وغـــير ذلـــك مـــن الأغراض. الشعر الغنائي حي، حارّ، مؤثر، مباغت يشيع فيه التفجر الداخلي والطفـــرات اللفظيـــة والبيانيـــة والشكلية لأنه في الأساس انفعال وإثارة.(1)

وظهر هذا النوع حينما حارب اليونان مع أعداءهم فهاج الظفر قرائحهم وذاقوا لذة التغلب وشعروا بإحساس لم يتعودوا من قبل كما أصاب العرب الحجازيين على إثر خروجهم من سلطنة الحميريين بما قـــام بينـــهم مـــن النزاع والحروب في القرون الألى قبل الإسلام. فإنها أنطقتهم وحركت نفوسهم وطبيعي أن الظفر يبعث علي المدح والموت يولد الرثاء والحب يستدعي النسيب والغزل.

فهكذا ظهر الشعر الغنائي عند اليونان والعرب ولكن في الأردية جاء الشعر الغنائي كله عن طريق الإيـــران. ولا أغالي إذ قلت إن العرب قد انفعل بهذا النوع من الشعر في العصر العباسي الأول من الأجانب الإيرانيين.

"يعبر الشعر الغنائي عن إحساسات متأتية من الداخل أو من الخارج. لذلك اقتضى أن تكون للعواطف الفردية والجماعية صفة شاملة، لأن المعبر أو المؤثر في فردية الشاعر هو ما يتضمن معنى شاملا، ويبتعـــث فـــي السامع أو القاري شعورا بالاستلطاف، ويتجاوز إحساسات رجل معين في فترة زمنية عابرة فلا يمس مشاعر الإنسانية. بهذا يتعارض في صميمه مع الشعر المبهم.

يعنى بالموضوعات الشخصية والعامة التي تشمل حياة الإنسان والعالمين المحسوس وغير المحسوس اللذيـــن ينطلقان من الإنسان ويدوران حوله متسعين شيئا فشيئا ليشملا قضايا الوطن والأســـرة والوطـــن والإنســـانية والطبيعة والعالم والله. إذا أحبّ الشاعر الغنائي وصف العالم لا يكتفي بالجانب المادي وحـــده لأن عاطفتـــه وطموحه يتجاوزان الإحساس بالواقع بل يسعى لبلوغ سر الأسباب ويصبح شعره نوعا من ارتياد عوالم مـــا وراء الطبيعة المعبّر عنها بالرسوم والأخيلة والإيقاع."(2)

---

(1) المعجم الأدبي لجبور عبد النور في باب الغناء (2) نفس المصدر

3- **الشعر التمثيلي:-** وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة فيتصور الأشخاص الذين جرت على أيديهم وينطق كلا منهم بما يناسبه من الأقوال وينسب إليهم ما يلائمه من الأفعال. أو هو رواية تمثيلية منظومة تدور حوادثها على مسرح، يقوم بها جماعة من الناس، يقلدون ما يجري في الحياة وما حدث في التاريخ تقليدا حيا يعيد تلك الحوادث عن طريق الحركة والحوار.(1)

وظهر هذا النوع من الشعر، لما رأى الشعراء بان الكلام وحده لا يكفي لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل. فعمدوا إلى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يودي سردها أو تمثيلها إلى مغزى ما يريدون. فبدلا من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلا ويحببها إلى الأبطال ببلاغة البيان الشعري، عمدوا إلى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع في النفس وأثبت في الذهن. وسموا هذا النوع من الشعر "الشعر التمثيلي".(2)

ويراد بالشعر التمثيلي في أصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمي إلى الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل.

---

(1) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج/1 ص 53 (2) نفس المصدر ص 54-55

4- **الشعر التعليمي:-** هو قصيدة نظمت لغرض علمي في النحو أو الطب أو الفلك أو غير ذلك. وموضوع هذا الشعر هو محاولة لتلخيص ما في العالم من محسوس وغير محسوس ونقله إلى أذهان المثقفين، يعنى بخاصة الدين والعلم والفلسفة والأخلاق والأدب والفن والمهن. وهذه الغاية الظاهرة منه لا تخفي أن منطلقة في كثير من الشعوب كان يهدف إلى إبراز مقدرة ناظمه في تطويع اللغة وإكراهها على التعبير عن كل ما يدور في خلد الإنسان من معرفة.

ويرقى تاريخ هذا الشعر إلى أقدم الأعصر، قبل أن يتبلور مفهوم الأدب العام وقبل أن يهدي الإنسان إلى الكتابة وتدوين أفكاره لنقلها إلى من يأتي بعده. وظهرت منه نماذج في بلاد الإغريق ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد. من تلك القصيدة التي وضعها هزيود في 826 بيتا بعنوان (الأعمال والأيام) وفيها نصائح في الأخلاق ودروسا عملية في الزراعة والملاحة. وبرزت نماذج أخرى في الأدبين اللاتيني والعربي وكذلك في الأدب الأردي بخاصة لتعليم القواعد والمنطق. كما كان لهذا الشعر وجود في معظم الآداب العالمية الأخرى. هذه هي الأنواع الأربعة للشعر التي ذكرناها تحيط جميع أنواع الشعر توجد في لغات العالم وآدابه. ولكن هناك سؤال هام ؟ هل يوجد في الشعر العربي ما قبل العصر الحديث شعر تمثيلي أو قصصي؟.

بعد البحث والتحقيق نجد فيه أقوال مختلفة : فقال الدكتور طه حسين وأحمد حسن زيات إن الشعر العربي غناء كله. "مهما يكن من أمر فان الشعر العربي القديم الذي يدرسه تاريخ الأدب ليس من القصص ولا من التمثيل في شيء، وإنما هو غناء ليس غيره"(1). ولكن ذكر جرجي زيدان أنه يوجد في الجاهلية شيئا من الشعر القصصي فهو يقول: "أما العرب فلا يوجد هذا النوع إلا قليلا في الجاهلية فانهم خاطبوا بها اللات والعزى وغيرها ولكن منظوماتهم في هذا الموضوع ضاعت في ثنايا الأجيال لعدم تدوينها".(2)

والحقيقة هي أن الشعر العربي غناء كله ولا يوجد فيه أي نوع من الأنواع الأخرى. أما ما ذكر جرجي زيدان فهو لا يطابق الحقيقة لأنه لا يوجد أي دليل على وجود من قسم هذا الشعر. بل هناك نوع آخر للشعر هو "الرجز" وهذا النوع من الشعر كثير في الأدب العربي وهو يختلف الشعر القصصي. لأن الشعر القصصي لا يعتمد على ذكر الأبطال والحروب فقط بل هو يعتمد علي أشياء أخرى منها اللفظي ومنها المعنوي.

---

(1) في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ص 309 وأيضا تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص 31 (2) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج/1 ص 53

فهو في لفظه طويل مسرف في الطول تبلغ القصيدة من قصائد آلافا من الأبيات. وهو في لفظه مقيد في الأداء نفسه بقيود معيّنة. وهو في معناه يذكر الحروب والمحن وبلاء الأبطال فيها، ولكنه يذكر الآلهة أيضا. ويستوحيهم ما يريد أن يقول ثم هو معناه اجتماعي يفني شخصية الشاعر إفناء تاما. وليس في هذا الشعر العربي شيء من هذا.(1)

أما الشعر الأردي فهو حديث العهد بالنسبة إلى الشعر العربي، فهو نشأ وازدهر في القرن الثامن عشر الميلادي و قبل ذلك ليس له أي مكانة في عالم الأدب وفي هذا العصر إنه عرف كل هذه الأنواع فاخذ الشعر القصصي من إيران مثل "شاهنامه إسلام لحفيظ جالندهري. وكذلك يمكن أن نعد بعض أجزاء المراثي لأنيس ودبير من هذا النوع. وكذلك قد عرف الشعر الأردي الشعر التمثيلي في بدايته مثل "إندرسبها" لامانت ومداري لال والأشعار التمثيلية لآغا حشر.(2) ولكن الشعر الغنائي فيه عام. والشعراء في العصر الحديث اقتصروا على هذا النوع. فراج هذا النوع وشاع فنجد فيه الغزل والمثنويات والقصائد والرثاء والهجاء وغيره من الأصناف الشعرية.

---

(1)في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ص 309 (2) ادب كا مطالعه لأطهر برويز من باب تعريف الشعر

أغراض الشعر وتأثيره

هذا أمر واضح بان الشعر مصدره الغناء كما في الموسيقى. والإنسان إنما يشعر بنفسه قبل أن يشعر بغيره، ويتغنى بعواطفه قبل أن يتغنى بعواطف سواه. والشعر غرضه التأثير ولذلك كثيرا من الأشعار لا نسميها شعرا ما لم يحرك شعورنا ويولد فينا كثيرا من الانفعال كالذي تولده الأغاني. ولكن هذا أمر يتطلب البحث والتحقيق بأن ما هو سبب تأثيره ؟

فقد ذكر أرسطو في كتابه "الشعر" عن سببه يمكن ذكره بالإيجاز:-

"إن النقل والمحاكاة مادة فطرية في الإنسان ولا يوجد هذا الجوهر في الحيوانات إلا قليلا. فمثلا يحاكي الببغاء الصوت والقرد يحاكي النقل والحركة ولكن الإنسان يستطيع أن يحاكي الآخرين بصوته وحركته ونقله. وهذه المحاكاة توديه الفرح والسرور. لأن هذا من طبيعي بان الإنسان يفرح بصورة حيوان يرسمها الرسّام ولو كان قبيحا. والشعر أيضا من المحاكاة والنقل فانه يؤثر القلب ويخلب اللب ويترك أثرا عميقا أو هو كالموسيقى فتأثيره أعمق".(1)

فتأثير الشعر لا ينحصر في قول أرسطو فقط بل هناك عوامل أخرى تدل على تأثيره ووقعه في النفس. والحقيقة هي أن روح المجتمع الإنساني لا تنبض ولا تتدفق على أساس الفلسفة والعلوم بل هي تتحرك بالشعور والوجدان والعواطف الصادقة. فحب الأطفال وأمومة الأمهات وشعلة الحب وألم الموت وفرح الولادة هذه كلها لا تحسها العلوم والفلسفة. ولو فقدت الإنسانية هذا الشعور لانعدم رونق الحياة وأصبحت الحياة مقفرة لا متعة فيها ولا انشغال. فهذه الزخرفة والزينة والرونق والبهاء والفرح والسرور والحزن والألم والموت والحياة والحب والبغض والصداقة والعداوة كلها تبقى بفضل الشعور والوجدان. (2)

والشعر له علاقة وطيدة مع الشعور ولذلك التأثير من أهم أغراضه. فالشعر يثير العواطف بطريقة مختلفة، فتأثير الحزن والألم والحب والبغض يوجد في الشعر. وإذا كان هواء النسيم، خرير المياه، حمرة الورود، ولطافة الأزهار، ورائحة العطور، وغزارة السحاب، ولمع الرعود أمام العيون فيملأ القلب فرحا وسرورا. والشعر يقدم كل هذه المناظر بطريقة كأنها هي الحقيقة أمام العيون أو أحسن من الحقيقة.(3)

---

(1) تاريخ اللغة والأدب والنقد للدكتور أحمد العزب 271-275 (2) انتخابات شبلي لسيد سليمان الندوي (3) نفس المصدر

فغرض الشعر كذلك إثارة المشاعر والانفعالات لأن فيه موسيقى خارجية وهي موسيقى الأوزان العروضية التي تؤثر في نفوسنا بإيقاعها المنتظم ونبراتها المتسقة، ولذلك كان المعنى الواحد إذا قيل شعرا ومرة نثرا كان في الشعر اكبر أثرا لقوالبه وأوزانه وكذلك فيه موسيقى داخلية وهي تكمن في الألفاظ وائتلافها وتوالي الحروف ومخارجها. فإذا كانت هذه الموسيقى الشعرية توجد في أي كلام فإنها تهز أوتار القلوب.

وكذلك من غرضه هو نقل إحساس الشاعر إلى نفوس الآخرين بمثل ما انفعل به، بعد أن يصور أحاسيسه ومشاعره عن طريق تمثيل الصورة للحقية لأن هذه المقدرة توجد عند الشاعر بغاية من الكمال والإتقان. على سبيل المثال قدم البحتري منظر الربيع البهيج أمامنا. فهو يحس بجمال الربيع الذي يفيض بالبهجة ويموج بالنشوة ويتفتح بالحياة ويطلق طاقة حيوية فائضة في الطبيعة كما يطلق الضحك الطاقة الفائقة في الإنسان. فانه يصور منظر جمال الطبيعة والانفعال بها بطريقة موحية فيقدم صورة الربيع وهو يختال من الحسن ويضحك من النشوة ويكاد ينطق لفرط حيويته وتفتحه. فيقول البحتري:-

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

فان جو الربيع هنا كله جو يقظة وتفتح وتعبير عن مكنون. والصور كلها صور مشرقة جميلة حية عن الربيع. فهو يتقدم إحساسا صادقا للربيع ويقدم صورة حية له كما يشاهده.

ومنه أن الشعر يخاطب العواطف مباشرة وذلك لما عند الشاعر من قوة إلهام لا تكتسب بتعلم. وللشاعر نوع غامض من لطف النظر أو الإلهام أو اللقانة ولهذا كان اليونان يسمون الشاعر خالقا وكان للعبريين كلمة واحدة تدل على الشاعر والنبي معا. ولعل هذا هو الذي جعل العرب يعتمدون أن لكل شاعر شيطانا ينفث فيه الشعر. ولنعم ما قال الشاعر الأردي أثر أنصاري في هذا الباب :

یون خد وخال نکھارے ھے مصور کا قلم بول اٹھے تری تصویر تو جادو کھلائے

ومنه هو أن الشعر نقد الحياة وروح المعرفة وحياتها كما قال وردسووث. وللشاعر نظر باطن للحياة ويفكر بعقله الحصيف وينظر بعينه العميق ويخوض البحر ويخرج منها اللآلي والدرر الثمينة. وإنه يبحث عن الحقيقة ويبلغ إلى كنه الأشياء وأسرارها فانه لا ينظر إلى سطح البحر بل يبصر الأمواج التي تهيج تحت مياه البحر ويفشي أسرار الطبيعة بكل البراعة والإتقان ويفك عقدة الحياة البشرية بدون مشكلة. وخير دليل على أن الشعر معنى الحياة وأن شعر كل عصر مرآة له قديما قالوا : "الشعر ديوان العرب" والحق أنه ديوان تسجل فيها حياتها أي أفكارها ومشاعرها. فالشاعر يعطيك صورة روحانية أكثر مما يعطيك التاريخ.

وبكلمة أخرى ما وصف الشاعر الأردي الشهير فيض أحمد فيض : "وهذا من فن الشاعر أن يرى في القطرة سعة دجلة ولكن هذا من كماله أن يبرز فيها هذا اللون"

وللتأثير يجب أن يكون في الشعر الواقعية أو المبالغة المشروطة بقيد. أما المبالغة المحضة فهي لا تفيد الشعر أبدا. فهناك فريقان في هذا المجال، فريق يقول: الواقعية شرط لازم للشعر والفريق الثاني يقول: المبالغة جزء أساسي للشعر. فالذين يؤيدون الفريق الثاني فهم يقولون: إن الكذب والمبالغة من محاسن الشعر ولذلك لما سأل الناس من النابغة "من هو أشعر الناس" فأجاب النابغة "من استجد كذبه" ولكن الشاعر العربي الكبير زهير بن سلمى يؤيد الفريق الأول بشعره :-

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ولنعم ما قال مرزا أسد الله خان غالب في هذا الباب :

دیکھنا تقریر کی لذت کہ جو اس نے کہا میں نے یہ جانا کہ گویا یہ بھی میرے دل میں ہے

وكذلك المبالغة المشروطة بقيد فهي لم تبق مبالغة بل هي تؤثر القلب. مثل قول البحتري :-

فلو أن مشتاقا يكلف فوق ما في وسعه لمشى إليك المنبر

فانه استخدم في شعره كلمة "لو" ويقيد مشية المنبر بهذا القيد. وكذلك تكون المبالغة مستحسنة ومقبولة إذا كانت تعتمد على الأخيلة الرائعة مثلا قول المتنبي :-

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسعه بأنواع السقام

كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربعة سجام

أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام

فالمتنبي لا يرى الحمى الراجعة كما يراها الأطباء أثرا للجراثيم التي تدخل الجسم فترفع حرارته وتسبب رعدة وقشعريرة. حتى إذا فرغت نوبتها تصبّب الجسم عرقا. ولكنه يبالغ في بيان المرض ويذكره في خيال بديع رائع. فهذا الخيال يخفف المبالغة.

ولكن إذا كان الشعر لترويح النفس فحسب فالمبالغة تفيد إلى حدٍ ما. ولكن الشعر الذي يغير مجـــرى الحيـــاة الإنسانية ويحدث انقلابات تاريخية وسياسية ويشعل نيران الحرب ويضعضع بنيان البلاد ويرق الحجر ويُبكيه ويضرم النار في البحر، كان مبنيا على الواقعية والحقائق الثابتة. فشعر سولن حدث انقلابا في اليونان وشعر بائرن حث أهل فرنسا وروسيا إنجلترا على الغيرة ضد الأتراك. وكذلك شعر الأعشى وشعر كبشة بنت معدي في الجاهلية الذي كثرت الحكايات فيه. وكذلك نجد هذا التأثير في أشعار الشاعر الإيراني "رودكي" وغـــيرهم كثيرون.

فالحقيقة هي أن الواقعية شرط أساسي للشعر. لذلك عصر الجاهلية كان عصرا بارزا للشعـــر لأنـــهم كـــانوا يذكرون في أشعارهم كل ما يمارسون في حياتهم فالشاعر الجاهلي يبين المسابقة والمساواة مع الأعداء فـــي الحرب فيقول :-

فآبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا

كذلك قال عمرو بن كلثوم في نفس المعنى :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

يقول حسان بن ثابت الأنصاري :

فنهجو بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط بالدماء

وكذلك الشاعر الجاهلي لا يمدح إلا بما يجد في الممدوح. فلما قال نعمان بن من منذر ملك حـــيرة للشـــاعر عمرو بن طفيل الدوسي " قل شيئا في شأني " فلما لم يجد الشاعر أي شيء قابل للمدح فقال مباشرا : "إفعل حتى أقول ".

فالمبالغة التي يأتيها الشعراء في ضمن الخيال الرائع والأسلوب البليغ فهي تؤثر القلب وتخلب اللـــب وتـــترك أثرا عميقا في النفس. ولكن المبالغة المحض التي لا يراد بها إلا ترويح النفس فهي كسراب بقعيـــه يحســـبها الظمآن ماءً.

الشعر الأردي في القرن الثالث عشر الهجري

يبدأ تاريخ الشعر الأردي من الفنون الشعرية لأبي الحسن خسرو الدهلوي (1256 - 1335م) ويبلغ عبر مراحل التطور إلى عصر نواب مرزا داغ الدهلوي (1831 - 19.5م). فانه شاهد خلال هذه الفترة الطويلة كثيرا من الصعود والهبوط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأدبية. وذاق لذة التحسين والتنميق والتغيير والتصحيح. ففي البداية كان يقبل ألفاظ اللغة البرجية والسنسكرتية برحابة الصدر ويروجها في أدبه الشعري. وكان كذلك مرآة صافية للشعر الفارسي ينعكس فيها وجهه وصوره وكان يفتخر بهذا الإقتداء.

ولكن الشاعر شمس الدين محمد ولي (1668 - 1744م) قد جاء بنهج جديد في الشعر الأردي. وجدد طريقة الإنشاد في اللغة الأردية. ولكن الشعر الأردي لم يزل تابعا للأفكار الفارسية وتراكيبها حتى جاء عصر مير تقي مير (1710 - 1710م) ففي هذا العصر قام الشعراء بتهذيب الشعر الأردي من الألفاظ البرجية والسنسكرتية إلى حد واستخدموا الألفاظ الفارسية الجزلة بدلا منها وتفننوا في الأساليب التعبيرية وأدخلوا السهولة واللطافة والإيقاع. ثم جاء عصر مومن خان مومن (1800-1851م) ومرزا أسد الله خان غالب (1796-1869م) ففي هذا العصر ازدهر الشعر الأردي ازدهارا كبيرا من حيث المعنى واللغة والفن.

وبفضل جهود هولاء الشعراء من أمثال مومن خان مومن ومرزا أسد الله خان غالب وشيخ إبراهيم ذوق وسراج الدين محمد بهادر شاه ظفر أصبح الشعر الأردي نظيفة ومطهرة من تراكيب اللغة السنسكرتية والهندية كاملة واستخدموا ألفاظ اللغة الفارسية السهلة وتراكيبها في الشعر الأردي بغاية من الدقة والإتقان. ونتيجة لذلك أصبح الشعر الأردي أدبا كونيا واحتل مكانة خاصة ممتازة له بين الآداب العالمية ومن حيث المجموع ازداد الشعر الأردي رونقا وجمالا ويبقى نموذجا كاملا للفصاحة والبلاغة ودخلت فيه أفكار جديدة من حيث المعنى. فيمتاز أسد الله خان غالب بالنزعة الفلسفية في شعره ويفوق مومن خان مومن بصبغة المغازلة في كلامه وكلاهما ياتيان بالتراكيب الفارسية الجميلة في أشعارهما وكذلك يزين شاه نصير الدين أشعاره بالاستعارات والتشبيهات الجديدة ويمتاز إبراهيم ذوق بطرائف اللغة واستخدام الأقوال المشهورة والمصطلحات اليومية. ويمتاز بهادر شاه ظفر بالسلاسة اللسانية واستخدام الأفكار الرائعة والعواطف العميقة بكلمات موحية جذابة ولكنه في أكثر الأحيان يعاني من المصائب والمشاكل العديدة فيما بين تذوق هو نفسه أو مارس كتجربته الشعورية.

فهكذا راج في هذا العصر أسلوبان مهمان : أسلوب يجري على المعاني أو الهيئة الداخلية للشعر وأسلوب يجري على الجمال الفني أو الهيئة الخارجية للشعر. وكان مرزا أسد الله خان غالب يميل إلى النزعة الأولى ويميل إبراهيم ذوق و شاه نصير الدين و بهادر شاه ظفر إلى النزعة الثانية ولكن مومن خان مومن كان بين هاتين النزعتين. فكان شعره ملتقى جميلا للنزعتين كلتيهما فانه يرق أحيانا مثل شاه نصير الدين ويصعب أحيانا آخر مثل أسد الله خان غالب. فهكذا خلق منهجا شعريا جديدا بعيدا عن التقليد والإتباع الجارف، بل أسس دعائم شعرية على منهج المغازلة والمعاشقة والحب والغرام والعاطفة والوجدان مع الحفاظ على الإباء. وترك وراءه طريقة جديدة للشعر الوجداني الذاتي يتبعها كثير من الشعراء البارزين الذين جاءوا بعده من أمثال حسرت موهاني ونسيم الدهلوي وأمير مينائي وغيرهم كثيرون.

ويمتاز هذا العصر في أن الشعراء يجيدون في توليد المعاني الجديدة وفي اللطافة والحسن والجمال في الموضوعات غير المهمة باستخدام أساليبهم النادرة القوية. بل إنهم كانوا ينحصرون على مثل هذه الأساليب القوية الساحرة في أشعارهم.

كذلك إنهم قاموا بإصلاحات عديدة في اللغة الأردية. وأفشوا استخدام اللغة الفارسية وتراكيبها وأصدروا حكما تاما على إلغاء البقية الباقية من الألفاظ الهندية والسنسكرتية. وأدخلوا مع الألفاظ الفارسية وتراكيبها، الجمل والكلمات اليومية بطريقة حسنة تزيد الجمال في الشعر الأردي.

وإنهم تركوا أيضا الأخيلة القديمة المستعملة في الشعر الأردي ومالوا إلى استخدام الخيالات الرفيعة والصور الجديدة في أعمالهم الأدبية. وصبغوا الشعر الأردي بصبغة المغازلة بصفة عامة. وكذلك أصبح الشعر في هذا العصر أدب القصر ومجالسه ونال مكانة مرموقة في عالم الأدب. فالأمراء والملوك يميلون إلى الشعر الأردي حتى برز منهم شاعر كبير هو بهادر شاه ظفر وغيره كثيرون.

وكذلك كان الشأن في استخدام الاستعارات والتشبيهات الجديدة النادرة وإيجاد اللطافة والجمال الفني في الأعمال الأدبية فقد كان مومن خان مومن ومرزا أسد الله خان غالب يقدمان مشهدا متحركا للخيالات الرفيعة في كلامهما. وهذا كله يتعلق بأصحاب دهلي.(1)

---

(1) راجع للتفصيل إلى "دلي كا دبستان شاعري" لنور الحسن الهاشمي

أما في لكناؤ فقد هناك شعراء مرموقون من أمثال الشيخ إمام بخش ناسخ (1774–1838م) وخواجه حيدر علي آتش (1767–1847م). فقد كان هذا العهد في لكناؤ عهد فتوة وشباب للشعر الأردي. فهذب الشيخ ناسخ اللغة الأردية وأصلحها من استعمالات سنسكرتية ورجح الخيالات اللطيفة على الوجداني وكان موجد أصحاب لكناؤ ولكنه كان مائلا إلى التعقيد في كلامه وأما حيدر علي آتش فهو يمتاز بالأسلوب السهلة الجذابة الخلابة وأدخل موضوعات كثيرة في الشعر الأردي مثل الحب والمغازلة والتصوف والأخلاق. ومن حيث المجموع مال أصحاب لكناؤ إلى الهيئة الخارجية للشعر برعوا فيها براعة تامة حتى تأثر أصحاب دهلي منها وجنحوا إلى خارجيتها وأول من قام بها هو الشيخ شاه نصير الدين وزين كلامه بالألفاظ الجزلة السهلة بالكلمات اللطيفة الجميلة. وقد تأثر مومن خان مومن بهذا الأسلوب وأخذ ما كان يناسب له ومزج هذا الأسلوب بأسلوبه الخاص فظهر من هذا الإمتزاج أسلوب جديد وأصبح صاحب طريقة جديدة في الشعر الأردي وخاصة في الغزل فهو إمام في هذا المجال ونفخ روحا جديدة في جسم الغزل القديم فضحك الغزل وافتخر باسمه وصفته وأصبح مصدرا رئيسيا للمغازلة مع الحبيب بسر خفي في حجاب مستور.(1)

ثم جاء عصر أمير مينائي (1828– 1901 م) ونواب مرزا داغ الدهلوي (1831 – 19.5م). كان أمير مينائي تلميذ مظفر علي أسير ولذلك إنه يعتبر شاعرممتاز من لكناؤ في الزمن الأخير من القرن الثالث عشر الهجري. وأما نواب مرزا داغ الدهلوي فهو كان تلميذ إبراهيم ذوق الدهلوي لذلك يمثل منهج أصحاب دهلي في الشعر الأردي في الزمن الأخير. وفي هذا العهد لم يذق الشعر الأردي لذة التطور والازدهار بسبب الأزمات السياسية والاقتصادية. بل كان جاريا على المنهج القديم. وبفضل جهود الشعراء من أمثال مولانا ألطاف حسين حالي ومحمد حسين آزاد دخل الشعر الأردي في العصر الحديث.

وفيما يتعلق بالفنون الشعرية فهي الغزل والمثنويات والمدح والرثاء والهجاء وواسوخت وغيرها كثيرة.

---

(1) راجع للتفصيل إلى "لكهنو كا دبستان شاعري" للدكتور ابو الليث الصديقي

الشعر العربي في العصر العباسي الثاني

يبدأ تاريخ الشعر العربي من عصر ما قبل الميلاد وقطع مراحل التطور حتى وصل إلى العصر الجاهلي فكان فيه " أنغام صبي، وحماسة فتوة وعواطف أثرة. وفي الإسلام أناشيد جهاد، وثوران عصبية وأطماع حياة. ثم استجار شبابه واكتمل في صدر الدولة العباسية. فظهر في شعر بشار وأبي نواس أضرابهما عبث شباب وأغاني طرب ومظاهر ترف. ثم عض على نواجذ الحلم واكتهل في أوساطها فبدأ في شعر ابن الرومي وأبي تمام والمتنبي والبحتري دروس تجربة ونتائج حكمة وخواطر فلسفة وظهر في شعر البحتري العذوبة والجمال واتسم ب"سلاسل الذهب" ثم أدركه الهرم في أواخرها في شعر المتأخرين وتمويه صنعة وخوف شيخوخة معالجة روح".(1)

فالشعر العربي في العصر العباسي سار على طريق التجديد والتنميق. "على أن ذلك لم يبلغ به مبلغا يخرجه عن المناهج التي اختطها الأقدمون خذ الوصف مثلا فانك تجده عريقا في الشعر يرجع إلى ما قبل الإسلام. على أنه كان قديما ينحصر في البداوة وما يشاكلها، فصار -بعد أن اتسع الأفق العمراني لدى المسلمين وبعد أن ظمأ بحر الرقة على بغداد وسواها من حواضر العصر العباسي - يتفنن في نعت أسباب الحضارة كالقصور والبرك والجنان والولائم والجيوش والمراكب ومثل ذلك تفننه في الخمر وأنواع الغزل وما إلى ذلك من ضروب النظم".(2) فالشعراء فاقوا الأقدمين من حيث التفنن في الموضوعات وامتازوا من حيث الأسلوب والمعاني والفن.

أما الامتياز في أسلوبهم "فبهرج الكلمات الغريبة وعذوبة التركيب ووضوحه واستحداث البديع والإكثار منه وترك الابتداء بذكر الأطلال إلى وصف القصور والخمور والغزل والإغراق في المدح والهجاء والإكثار من التشبيه والاستعارة والحرص على التناسب بين أجزاء القصيدة ومراعاة الترتيب في التركيب.

أما في المعاني فهو توليد المعاني الحضرية واقتباس الأفكار الفلسفية والخواطر السياسية والآراء العلمية. أما في الفن فهو المبالغة في نعت الخمر ومجالسها ووصف الرياض والصيد وغزل المذكر والمجون والوعظ والزهد والأخلاق والفلسفة وضبط العلوم كالنحو وغيره".(3)

TH-6742

---

(1) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات من باب شعراء الشام (2) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي (3) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات من باب شعراء الشام

والشعر العربي في هذا العصر أصبح لسان حال للأمراء والخلفاء وأصبح الشاعر نديم خليفة وسمير أمير وأليف كأس ومؤيد فرقة وفوق كل ذلك امتاز الأمراء والخلفاء في هذا المجال مثل ابن معتز وأبو نواس الحمداني والطغرائي والشريف رضي وغيرهم.

وكذلك اتسعت اللغة العربية من خلال الترجمة والنقل من ثقافات الأمم الأجنبية وحضاراتها فدخلت فيها الفلسفة اليونانية والهندية. ونتيجة لذلك تأثر الشعر العربي من هذه المؤثرات الأجنبية.

وكذلك الشعر العربي في العصر العباسي ينحصر في الوجداني الذي يدور على نفس الشاعر ومن ذلك مدحه لأميره أو تغزله بفتاته أو هجاءه لعدوه أو وصفه لما تقع عليه عينه أو تحريضه على ما يشعر بصلاحه. وهذا القسم من الشعر يظهر لنا في ثلاثة مظاهر :

(1) رقة العبارة. (2) التفنن في المعاني. (3) التوفر على البديع اللفظي.

ولكن الشعر العربي في القرن الثاني الهجري يختلف من القرن الثالث الهجري لأن الشعر في القرن الثاني الهجري كان في مرحلة الانتقال ودخل في عصر استقرار بعد عصر اضطراب عنيف وتطور ثورة شديدي الخطر (1). فكان الشعر العربي في القرن الثاني الهجري مائلا إلى اللهو والمجون والاضطراب والشك. ولكن في القرن الثالث الهجري ظهر في شكل جديد يختلف عما قبله فعندما نقرأ شعر أبي تمّام والبحتري وابن المعتز وابن الرومي وديك الجن، لن نجد شيئا يشبه حتى من بعيد هذا المجون وهذا الفجور العنيف الذي نجده في شعر بشار وأبي نواس والرقاشي والحسين بن ضحاك الذين عاشوا في الكوفة والبصرة أثناء القرن الثاني الهجري.

DISS 28N7
9,168,1,MOD&j=0,28,1,D820:g

فقد كان هذا العصر عصر استقرار حياة جديدة وتم التعارف والائتلاف بين المسلمين وهذا النوع الجديد من العلم والفلسفة والحياة المادية والسياسية.

وكذلك شعراء القرن الثالث الهجري يمتازون من شعراء القرن الثاني بأنهم كانوا جميعا علماء. فالشعراء جميعا يأخذون من الثقافة بخطوط مختلفة وكلفوا كلفا عظيما بالثقافات المنتشرة. ولكن في القرن الثالث، فالشعراء على غير هذا كله فهم لا يكتفون بالشعر ولا يكتفون بهذه الثقافات على أنها تغذية لنفوسهم فحسب بل كان كل منهم يعني بناحية ويريد أن يكون مختصا بفرع من فروع العلم ويحاول أن يؤلف الكتب وأن يذيعها. فأبو تمام يضع كتاب الحماسة والبحتري أيضا يضع كتاب الحماسة وابن المعتز يضع كتبا ويحاول وضع نظرية من البديع.

---

(1) أمراء الشعر في العصر العباسي لأنيس المقدسي.

وهذه الصفة التي يمتاز بها هولآء الشعراء في القرن الثالث الهجري تدل على أن الحضارة الإسلامية كانت وصلت إلى طور من الرقي عظيم. وصلت هذا الطور الذي لا يصبح الشعر ضرورة ولكنه يصبح فنا من فنون الترف والزينة والذي لا يضل الناس فيه على أن يتخذوا الشعر صناعة. وبل يتخذونه حلية وزينة ينفقون فيها أوقات فراغهم وهذا الطور الذي يصل إليه الشعر عندما يعظم خط الأمم من الحياة العقلية ويظهر فيه النثر.

وفي هذا العصر ظهرت ثقافات كثيرة وهي ثلاث : إحداها الثقافة العربية الخالصة التي تعتمد على القرآة وما يتصل به من علوم الدين وعلى الشعر وما يتصل من العلوم الأدبية كالنحو واللغة وغيرها. وثانيها : الثقافة اليونانية. وثالثها : الثقافة الشرقية التي كانت هي خليط من التراث لهذه الأمم كلها. ونتيجة لهذه الثقافات ظهرت ثقافة مختلطة. فقد كانت كالنحلة التي تطوف على الأزهار المختلفة المتباينة فتجمع خير ما في هذه الأزهار جميعا فشعر هولاء الشعراء في حقيقة الأمر ليس إلا خلاصة صافية لذيذة لكل هذه الثقافات.(1)

فهذه العلاقات الجديدة المادية والمعنوية قد أثرت تأثيرا واسعا في الشعر العباسي وهي كثيرة، منها ما يتصل بالسياسة والدعوة العباسية. ومنها ما يتصل بالجنس ونزعاته، ومنها ما يتصل بالحضارة والتراث الثقافي الأجنبي الذي انتقل إلى العربية، ومنها ما يتصل باللغة وما جدّ فيها من أسلوب المؤلدين. وهو أسلوب مبسّط شفاف ليس فيه إغراب ولا ابتذال، وأسلوب يقوم على الألفاظ الواسطة التي لا تهبط إلى لغة الدهماء والعامة ولا ترفع إلى لغة الإغراب الحوشية مع الجزالة والرصانة حينا، وحينا مع العذوبة والرشاقة والحلاوة. وهو أسلوب ينهض نهوضا رائعا بكل ما أتيح للعقل العباسي من ذخائر الفكر ولطائف الذهن وبدائع الخيال والتصوير، مع تمثيل المجتمع بكل ما كان يخوض فيه.

ومن أهم ما يميز هذا الأسلوب أنه لا تنقطع فيه الصلة بين القديم والجديد فهو يحتفظ بخير ما في القديم من ألفاظ، وكل ما يدخله عليها إنما هو التهذيب والتصفية والترويق، وأيضا فانه يحتفظ ما في القديم من معان وصور، وهو يشفع ذلك بدقائق الفكر العباسي الجديد واستنباطه الخفية ومحاسن خياله الحديث وتصويراته المونقة البارعة. (2)

---

(1) تاريخ الأدب العربي لطه حسين (2) الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف 5-6

وبذلك تطور الشعر العربي تطورا مثمرا، تتوثق فيه العلل والأسباب بين القديم والجديد توثقا نحس فيه ضربا من المحافظة المنتجة الحية، كما نحس فيه ضربا من التحول وكل ما بداخله من ألوان الحضـــارة والـترف وأثار الثقافة والفكر العميق وقد يغلب عنصر التحول على عنصر المحافظة عند بعض الشعراء. وقد يشوبون ذلك بضرب من الثورة عند القدماء غير أن هذا لا يخرج بالشعر العباسي على أصوله التقليدية فالقديم يزاوج فيه الجديد تتيح له الخلوص من العقم والجمود، كما تتيح له التطور الحي في التعبير والتفكير والتصوير(1).

ولما أصبح الخلفاء آلة في أيدي الأتراك وأقصى نفوذ الخدم في هذا العصر إلى تكاثر الفساد، فعمت الرشـــوة والمصادرة والفتك وتشعبت المملكة العباسية إلى إمارات وممالك وتأثر الشعر العربي من هذا الفساد وظهرت فيه شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعراء وانقضاء العصر الذي كان الشعر فيه يثير النفـــوس ويســـتنهض الهمم بذهاب الخلفاء والأمراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون أصحابه بالسخاء وقد عبر ابن الرومي عن ذلك وهو من أهل ذلك العصر بقوله :-

ذهب الذين تـــهزهم مـــداحـــهم هزّ الكماة عوالي المرّان

كانوا إذا إمتدحوا رأوا ما فيهم فالأريحة منهم بمكان

وكذلك ظهر فيه البديع ولم يكن قبلا إلا نزر يسير على أن البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلا عـــن الشعر. لأن هذه اللغة تناولت بقبولها للإستعارات والكنايات ولكن المشهور أن أول من سبق البديع بشار بـــن برد وإبن هرمة ثم تبعهما مقتديا بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور بن الوليد وأبو نواس وإتبع هولاء أبو تمام والبحتري. ثم إبن المعتز بانتهى البديع إليه، فانه ألطف أصحابه شعرا وأكثرهم بديعا وهو مـــن شعـــراء العصر العباسي الثاني.

وكذلك نبغت طبقة من الكتاب إنتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص فصـــاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه واساليبه تعين النقد. ولا سيما بعد إطلاعهم على ترجمة كتـــاب أرسطو في نقد الشعر الذي نقله أبو بشر من السريانية إلى العربية.

فملخص القول هو أن الشعر العربي في القرن الثاني والثالث الهجري قد وصل إلى سبيل الفتوة والكمال فإنه ذاق كل أنواع الطعم السياسية والأخلاقية والفلسفية والزهدية وأحس رائحة التمـــدح والقصـــد إلـــى الملـــوك والأمراء وأحسّ المرارة والغضب في شكل الهجاء واختاروا أساليب مختلفة لهذه الأنـــواع الشعريـــة وبـــرع وتفنن فيها. وقد نجد فيه ألوان الحضارة الأجنبية مثل الثـــقافة الفارسية والتركية فتأثرت بها اللغـــة العربيـــة

والشعر العربي فانتشر فيه اللهو والمجون والزندقة والفلسفة المعنوية والمادية والغزل بالمذكر وكذلك نجد فيه صبغة المغازلة والتحدث بالنساء والأخبار عن كأس الخمر ووصف الطبيعة ووصف المشـــاهدات والمنـــاظر البهيجة ووصف القصور الفخمة.

فيمتاز بشار بن برد بالغزل بالمذكر وأبو نواس بالخمريات ويمتاز أبو العتاهية بالزهد وأبو تمـــام بالمعـــاني الفلسفية ويمتاز المتنبي بالمعاني الإبداعية في المدح والبحتري بالخلق الشعري في الغزل والوصف وبرع ابن المعتز بأنواع البديع في الشعر العربي.

وبعد هذا العصر نجد في الشعر العربي الضعف والانحلال. ولم يتعرف الشعـــر العربـــي علـــى التنوعـــات الشعرية مثلما عرف في هذا العصر.

ولم تخرج أغراض الشعر يومئذ عن الأغراض التي عرفت قبل هذا العصر من مدح وفخر وغزل وهجـــاء ورثاء ووصف وغيرها من الأغراض. وازدهر في هذا العصر وصف الطبقة ووصف الحضارة التي ارتقت في هذا العصر العباسي.

الباب الثاني: البحث حول شخصية الشاعرين من حيث الفكرة والفن

201 مومن خان مومن ، حياته وفـــنه

20101 الحياة السياسية
20102 الحياة الاجتماعية
20103 الحياة العقلية
20104 ولادة مومن ونشأته ووفاته
20105 معاشقته مع الغواني
20106 آثاره الأدبية
20107 صورته الجسمانية والنفسية
20108 منزلته
20109 فنون شعره

202 أبو عبادة البحتري ، حياته وفـــنه

20201 الحياة السياسية
20202 الحياة الاجتماعية
20203 الحياة العقلية
20204 ولادة أبي عبادة البحتري ونشأته ووفاته
20205 آثاره الأدبية
20206 صورته الجسمانية والنفسية
20207 منزلته
20208 فنون شعره

مومن خان مومن، حياته وفنه

حينما يسمع رجل إلى خطيب أو واعظ في أي مجلس، يرغب في أن يرى شكله وشخصيته وطريق أداءه لكي يفهمه بطريقة كاملة ويتأثر عن أحواله بطريقة مباشرة. فكذلك الشأن للشعر والأدب. فقبل أن نقـــرأ ونطـــالع كلام الشاعر، هذا من الأحسن أن نعرف الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية وحياة الشاعر وزمـــن مولـــده ومنشأه لكي نفهم كلامه بطريق واضح.

الحياة السياسية :

تبدأ الحياة السياسية في عصر مومن خان مومن بوفاة الملك المغولي أورنغ زيب سنة 17.7م. فظهرت الفتـــن و الاضطرابات السياسية و برزت العناصر السلبية التي تخرب البلاد و تقضي على أمنها وسلامتها. ولكن إذا نظرنا إلى حالة البلاد السياسية ما بين الفترتين من 17.7 م إلى 1857 م وجدنا طائفتان من القوة : طائفة تعلن بالحكومة في دولة من دول البلاد حينما ضعفت الحكومة المركزية من أمثال نظام الملك فـــي دكـــن وعلـــي وردي خان في بنغال وسعادت علي خان في دولة أوده. فانهم جميعا أعلنوا بحكوماتهم في هـــذه الدويـــلات. وطائفة أخرى تحارب وتغار على دهلي وتنتهز فرصة الإفساد والتخريب من أمثال السيخ والمراهتا وروهيلا. فانهم كانوا قوات كبيرة ظهرت في القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي على فترات متقاربـــة. فـــهذه كلـــها تضعضعت بنيان البلاد.

فحركة السيخ كانت حركة دينية أنشأها إمامهم الشيخ غرو نانك (14.94 - 1538) ونقلها غرو أرجن ديو إلى حركة سياسية في عهد جهاغير وأصبحت حركة سياسية منظمة في عهد أورنغ زيب. وهكذا إنها ظهرت في جماعة تثير الإفساد والتخريب في البلاد وفي سنة 1710 م شنت غارتها على سرهند وحاربت مع قائد الدولة وزير خان ففازت في نهاية الأمر وغلبت ودخلت في سياسة البلاد حتى أصبحت قوة عظيمة في عهد رنجيت سنغ (1780 - 1839 م).(1)

---

(1) Later Mughals Vol. I P. 93 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 43

وكذلك ظهرت قوة المراهتا بكل فتوة وشباب حتى إنهم جعلوا يحصلون على الخراج في قيـــادة بـــاجي راؤ وتمكنوا على حكومة مالوة وغجرات وفي سنة 1737م إنهم وسّعوا حكومتهم إلى بنديلكند وفي سنة 1760م إنهم قبضوا على دلهي وقاموا بالإفساد والتخريب وفي سنة 1761م قامت الحرب بينهم وبين أحمد شاه أبدالي ففاز أحمد شاه وقتلهم كثيرا. وبعد رجوعه إنهم جمعوا قوتهم وقبضوا على دلهي مرة أخرى، فاصبح الملك شـــاه عالم عبيدا في أيدي المراهتا.(1)

وكذلك ظهرت قوة الأفغانيين الذين استوطنوا في بريلي وظهروا باسم "روهيله" بقيادة نجيب الدولة الملقـــب بمير بخشي ثم بقيادة ابنه ضابطه خان الملقب بأمير الأمراء. ونالوا مكانة سامية عند الملك. وفي سنة 1774م وقعت الحرب بين حافظ رحمت خان وشجاع الدولة مع حليفه وانهزم فيها حافظ رحمت خان وبعد وفاة شجاع الدولة استولى ابنه مختار الدولة على الحكومة ولكنه قتل. فانتهز غلام قادر خان هذه الفرصة وقبض علـــى الحدود الملكية بمساعدة السيخ وتوجه إلى دهلي سنة 1788م وقام بالتخريب والإفساد والسلب والدمار تقشعـــر الجلود من مجرد سماعها. فانه أنقذ عيون الملك شاه عالم وأمر برقص نساء الحرم الملكي وأهانـــهن إهانـــة شديدة وحصل على أموال طائلة من القلعة. ولكن حينما عادت غلبة المراهتا على دهلي من جديد فانهم قتلوه بكل إهانة وذلة. وأجلس الملك على كرسي الحكم هكذا أصبح الملك عبيدا في أيدي المراهتا.(2)

وكذلك حملة نادر شاه على دهلي قضت على البقية الباقية من إقتصاد البلاد وسياستها. ثم حملات عنيفة مـــن قبل الأبداليين قد كسّرت ظهر البلاد. (3)

وخلال هذه الأزمات الاقتصادية والسياسية انتهز الإنجليز فرصة التغلب على البلاد عن طريق التجارة أولا ثم عن طريق التوغل في سياسة البلاد حتى إنهم فازوا في معركة بلاسي سنة 1757م وانهزم فيها سراج الدولـــة وقبض الإنجليز على ولاية بنغال و في سنة 1799م قضى الإنجليز على ولايـــة ميســـور بمســـاعدة النظـــام والمراهتا. وفي سنة 1803 م إنهم هزموا المراهتا وقبضوا على دهلي وآكـــره. وهكـــذا أصبحـــت الحكومـــة محصورة في القلعة. وفي الأخير جلس على كرسي الحكم بهادر شاه ظفر ولكنه كـــان يعيـــش علـــى خـــير الإنجليز وبعد الثورة 1857م قد قضى الإنجليز على الحكومة المغولية بأسرها وأرسل الملك إلى رنغون حيث ينفس نفسه الأخير في السجن بعيدا عن القصر وراحته ولم يزل في هذه الحالة حتى توفى.

---

(1) Later Mughals Vol. II P.163 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقـــي ص 45 (2) Fall of Mughal Empire Vol. III P.47 & 435 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمـــد الصديقـــي ص 46-47 (3) دولة المغول في الهند للدكتور يوسف كوكن ص 194

خلاصة القول هي أن الحالة السياسية التي ظهرت بعد وفاة أورنغ زيب قد استقرت بعد مجيء الإنجليز على سيادة البلاد في سنة 1803م فلذلك لم نجد الاضطراب والقلق والفساد والفوضى في هذا العهد (عهد مومن خان مومن) كما نجد في عهد مير تقي مير وخواجه درد. بل نجد الأمن والهدوء والطمأنينة كانت سائدة في هذا العهد. فكان مرزا أسد الله خان غالب وحكيم مومن خان مومن كلاهما مائلين إلى التفاؤل و الرجاء.

الحياة الاجتماعية :

إن الحياة الاجتماعية في هذا العصر كانت تئن إثر وطأة الفساد الخلقي والاقتصادي. فكان الأمراء والأغنياء يزهدون عن أمور البلاد وسياستها بل ينغمسون في أمور اللهو والمجون والخلاعة. "فكان جهاندار شاه (1712-13م) يقع في حب امرأة جميلة (لال كنور) ويعيش عيشة المترفين والمجانين. وأصبح القصر مركزا للموامراة و الدسائس في عهد فرخ سير". (1) وكان محمد شاه يهيم في وادي الخمر ثم في سنة 1815م كان الإنجليز يتصرفون في اقتصاد بنغال الذي كان مركزا للاقتصاد. فضعف اقتصاد البلاد وعمت الرشوة وشاع مناخ القلق والاضطراب على البلاد. وبالإضافة إلى ذلك تمرّ تجارة البلاد وحرفتها بالأزمات الاقتصادية. فقد نشأ وترعرع مومن خان مومن في هذا الجو الحرج. وجاء شاه ولى الله الدهلوي بتعاليم جديدة للناس عامة وقام بإصلاح الحكومة وإزالة الفتن والمشاكل السياسية وإشاعة التعاليم الأساسية في ضوء الكتاب والسنة النبوية ونقل القرآن إلى اللغة الأردية فثارت ضجة في الناس ولكنه دفع هذا العمل إلى الفهم السليم للإسلام وكذلك إنه ألقى ضوءا على أهمية الصناعة والتجارة وبقاءهما في البلاد. فتأثر المجتمع من هذا السعي المجهود وتقدم خطوة إلى الأمام فرفع مستواه العلمي والعقلي والديني والاقتصادي.

ثم جاء شاه عبد العزيز الدهلوي ونهج سبيل أبيه في الدعوة والإصلاح وبذل جهوده المحمودة في إشاعة التعاليم النبوية وأصبح ملاذا للناس. ثم جاء شاه عبد القادر فرجع إليه مومن خان مومن وإستفاد منه وأصبح من خير تلاميذه.

ولما اشتدّ إحساس المسلمين بالكبت السياسي واستيلاء الإنجليز على حكومة البلاد، فقام المجاهدون وحاملو لواء الإسلام في قيادة شاه إسماعيل الدهلوي وسيد أحمد البريلوي ضد الحكومة الأجنبية، ورفع مومن خان مومن صوته للجهاد ضد الإنجليز فقرض مثنوياته المشهورة "الجهاد" ويتمنى لو أنة مات شهيدا في هذا الجهاد.

---

(1) مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 42-43

الحياة العقلية :

وفي القرن الثالث الهجري في الهند وجه العلماء والأدباء نحو العلم والأدب والثقافة. وبالرغم من الأزمات السياسية والاجتماعية، إنهم اعتنوا بالعلوم الإسلامية من شرعية ولسانية والعلوم الدخيلة من فلسفة إلهية وطبيعة ورياضية. ووسعوا فيها توسيعا كبيرا.

وشهد هذا العصر ازدهارا كبيرا في العلوم الإسلامية فبرز مفسرون كبيرون من أمثال القاضي ثناء الله الباني بتي المتوفى سنة 1225 ه صاحب "التفسير المظهري" ، والشيخ عبد العزيز الدهلوي المتوفى سنة 1229 ه صاحب "فتح القدير"، والشيخ عبد القادر الدهلوي المتوفى سنة 1230 ه صاحب ترجمة القرآن "موضح القرآن" وأستاذ ومربي الشاعر مومن خان مومن.

دخلت الهند في حلبة علم الحديث متأخرة ولكنها سبقت كثيرا من الأقطار. ونهض منها الأئمة الكبار وانتهى إليهم تدريس هذا الفن والقيام بحقوقه حتى أصبحت هذه البلاد مركزا بهذا الفن الشريف، يشد إليه الرجال ويضرب فيه أكباد الإبل. في القرن الثالث عشر الهجري ظهر منهم الشيخ عبد العزيز الدهلوي وشيخ الإسلام الدهلوي صاحب كشف الغطاء. والشيخ سلام الله صاحب المعلى شرح المؤطأ، والشيخ عبد الغني صاحب إنجاح الحاجة.

وكذلك برز في هذا العصر كثير من أهل الإتقان والتدقيق في علوم اللغة والاشتقاق من أهل البصر والإبداع في علم البلاغة والإعجاز. ومن أشهرهم كان الشيخ أوحد الدين صاحب نفائس اللغات مفتاح اللسان (م1250ه) والشيخ عبد الرحيم الصفي فوري صاحب منتهى الأرب والقاضي كرامت حسين اللكنوي صاحب فقه اللسان (م 1325 ه).

وقد برز في اللغة العربية السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس (م 1205 ه). وفي العلوم العقلية والفنون الحكمية الشيخ رفيع الدين الدهلوي صاحب أبطال البراهين الحكمية ورسائل في المنطق والحكمة (م 1233 ه) ، والشيخ فضل إمام الخيرآبادي صاحب المرقاة في المنطق وتلخيص الشفاء (م 1242 ه). وفي العلوم الرياضية والهيئة والنجوم نجد علماء كثيرون الذين بلغوا درجة الإبداع وفاقوا في الصناعة والاختراع من أمثال العلامة تفضل حسين اللكنوي صاحب الشروح الستة على الجبرية (م 1239 ه)، وخواجه فريد الدين الدهلوي صاحب فوائد الأفكار والتحفة النعمانية (م 1244 ه).

وفي جودة التأليف وحسن الجمع وتحرير التاريخ وسعة الإطلاع على أحوال البلاد. والرجال نجد الشيخ عبد القادر بن محمد أكرم الرامفوري (م 1265 ه)، والشيخ شبلي نعماني صاحب "الفاروق" و"شعراء العجم" (م1332 ه).

ومن الشعراء العربية المفلقين غلام علي آزاد البلغرامي صاحب السبع السيارة (م 1200 ه)، وفضل حق الخيرآبادي صاحب القوافي والتجنيس وفيض الحسن السهارنفوري (م 1304 ه). ومن الشعراء الفارسية مومن خان مومن المتوفى 1268 ه، ومرزا أسد الله خان غالب المتوفى 1285 ه.

ومن المبرزين في شعر أردو (لغة الهند المنقحة) نجد مير تقي مير الأكبرآبادي (م 1225 ه)، والسيد إنشاء الله المرشدآبادي (م 1232 ه)، وغلام همداني المصحفي (م 1240 ه)، وإمام بخش ناسخ اللكنوي (م1254ه)، وحيدر علي آتش اللكنوي (م 1263 ه)، ومحمد مومن خان مومن الدهلوي (م 1268 ه) ومرزا أسد الله خان غالب (م 1285 ه).

وفي هذه الأوضاع السياسية والإجتماعية والعقلية، ولد مومن خان مومن ونشأ وترعرع. فإنه أخذ عن أحواله كل ما يلائمه وأعطى أكثر مما أخذه من هذه الأوضاع، وهذه هي علامة عبقريته ونبوغه في الشعر الأردي في القرن الثالث عشر الهجري.

ولادة مومن خان مومن، نشأته ووفاته :

وفي عهد شاه عالم، حينما تتنفس الحكومة المغولية نفسها الأخير، قد سافر طبيبان شهيران - حكيم نـــامدار خان وحكيم كامدار خان - من وادي كشمير إلى دهلي واستوطن فيها(1). وكان شاه عالم يكرم أهـــل العلـــم والمعرفة، فلما عرف بقدومهما طلبهما في قصره وألحقهما في زمرة الأطباء الملكيين وأعطاهما الهدايا الثمينة والأموال والإقطاعيات الكثيرة مثل خطة بلاهه بركنه نارنول (2) بدلا من خدماتهما السعيدة. في سنة 1800م قد وهب الله غلام نبي خان إبن نامدار خان غلام جميلا. وكان غلام نبي خان يتصـــل بشـــاه عبـــد العزيـــز الدهلوي اتصالا دينيا حميما. فذهب بصبيه إلى شيخه فانه أذن في أدنيه وإنتحل اسمه "محمد مومن" (3) وقـــد لمع الشاعر بهذا الاسم في عالم الشعر الأردي.

هكذا شهد حي كوجه جيلان بدهلي القديمة ولادة مومن خان مومن (4) فنشأ وترعرع في بيئة علمية ودينية. واختار اللقب "مومن" كاسمه واشتهر به في مجال الشعر. نال الدراسة الابتدائية في بيته من والده فلمـــا بلـــغ أشده حضر في دروس الشاه عبد القادر الدهلوي وتعلم منه الكتب الدينية في العربية وحذقها حذقا تامـــا ولـــم يزل متمسكا به حتى إنتقل أستاذه إلى جوار ربه فحزن شديدا وقال شعرا لتاريخ وفاته :-

دست بيداد أجل ســـــي سر و پا هو كَنِي فقر ودين، فضل وهنر، لطف وعمل علم وعمل

وتعلم الفارسية من العالم الكبير عبد الله خان الدهلوي وبرع فيها براعة تامة. وفاق على جميع أقرانه الشعراء في العلم والمعرفة ولذلك إسترشده مولانا شاه إسماعيل الدهلوي في تأليف كتابه "تقوية الإيمان".(5) هكذا إنـــه شبّ بارع العلوم وماهر الفنون وفصيح اللسان وناصع البيان وقادرا على الأصناف الشعرية العديدة.

لم يكن مومن خان مومن شاعرا عبقريا فحسب بل إنه كان عالما كبيرا للطب والهيئة والحســـاب والفلكيـــات والموسيقى وكان يشغف بلعب الشطرنج كثيرا. وقد وسعت ثقافته اللغوية فهو كـــان ضليعـــا فـــي الفارســـية والعربية مع القدرة الكاملة على اللغة الأردية وخباياها.

أما الطب فقد أخذه من الوراثة وتعلم هذا الفن من أبيه وعميه وإتقن فيه إتقانا كاملا. وافتخر بـــهذه الموهبـــة الفنية في كلام شعره :-

---

(1) آب حيات لمحمد حسين آزاد ص 412 (2) دلى كا دبستان شاعري لسيد نور الحسن الهاشمي ص 242 (3) آب حيات لمحمـــد حسين آزاد ص 412 (4) روز نامجه لعبد القادر مخزونه مكتبة رضا ببرام فور نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظـــهير أحمد الصديقي ص 73 (5) سيرت سيد احمد شهيد للأستاذ السيد أبي الحسن الندوي الطبعة الثانية

حکیم وہ ہون کہ جانے رہین حواس اکثر　　کر ے معارضہ سرسو دفتر عقول ونقوش

طبیب وہ ہون کہ ہو سوز سینہ بلبل　　نظارہ رخ کلفام سے مجھے محسوس

جو ہون معالج مبطون تو قابض أرواح　　کري دعائے رواج طریق جالینوس

وكذلك إنه يعتز بهذه الورثة الطبية في شعره :-

میرے سینے کے صفحہ مین ہے رقم　　علم دانا دلان یونانی

مجھ تلك ہونجے ہین اب وجد سے ورثہ نکتہ ہائے لقمانی

وقد اعترف الأدباء النقاد بنبوغه في الطب وذكر سيد علي حسين :

بالإضافة إلى هذا الفن (أي الشعر) له حذق تام في علم الطب.(1)

وكتب كريم الدين في "كلدسته نازنينان" :-

"قد بلغ مومن إلى مكانة في الطب، لو أن ابن سينا أنفق طول حياته في معرفة علم الطب لما شعر قليلا بمعرفة فحص النبض أمامه".(2)

ذكر صاحب "طور كليم" :-

"كان لمومن خان ابن غلام نبي خان اليد الطولى في علم الطب".(3)

أما نبوغه في الفلكيات فكان مومن خان ممتازا في هذا المجال أيضا. إنه حصل هذا العلم من الأساتذة ونال فيه مكانة مرموقة وشهرة وصيتا حتى إنه يخبر الناس بأحوالهم وقد ذكر الدكتور ظهير أحمد الصديقي في كتابه "مومن شخصيت اور فن" بعض القصص التي تدل على براعته في هذا العلم ومنها أنه لما سقط من السقف وإنكسرت عظم رجليه ويديه فانه أخبر الناس بوفاته قائلا بأنه سيموت بعد خمسة أعوام أو خمسة شهور أو خمسة أيام. وتوفي بعد خمسة أشهر.(4) إنه أشار هذا العلم في أشعاره :-

میرے کلام مین ہے کونہ کونہ فائدہ مند أدیب ونبض شناش و منجم وفاضل

ان نصیبون بر کیا اختر شناش　　آسمان بھی ہے ستم ایجاد کیا

وقد اعترف كريم الدين بمعرفة هذا الفن في كتابه "طبقات الشعراء"

"وكان مومن خان خبير بعلم الفلكيات والرمل".

---

(1) بزم سخن لسيد علي حسين ص 107 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 87 (2) كلدسته نازنينان لكريم الدين نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 87 (3) طور كليم لسيد نور الحسن ص 97 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 87 (4) حيات مومن لعرش غياوي ص 81 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 158

ولو أن مومن خان يعرف هذا الفن ولكنه لا يؤمن بهذا كما ذكر في أشعاره الفارسية :-

از اختر فرخ مدعائـــــــے مطلب نبود كرم خدائـــــــــے محتاج سبب

من طالع خويش آزمودم بسيار برجيس دهد مال نه ناهيد طرب

وكان عالما كبيرا للحساب وبلغ إلى مكانة لايبلغ بها أحد إلا خواجة محمد نصير كما إعترف به مومن نفسه. وكان يلعب بالشطرنج وامتاز به أيضا وقد اعترف به فضل حق الخيرآبادي وهو يشغف أيضـــا بـــالشطرنج ولكنه أحيانا يسقطه مومن خان خلال المسابقة فيوما سأله مرزا أسد الله خان غالب عن وجـــوه الســـقط فيـــه فأجاب :

"إن مومن خان ذئب لا يعرف قرته، ولو أنه مال إلى المهام العلمية بدلا من أمور الحب والهوى لعرف حـــدة ذكاءه"(1)

كعادته المتلونة إنه شغف بالموسيقى أيضا. وإذ أن الموسيقى لها علاقة وثيقة مع الشعر لذلك إنه رغب فـــي هذا الفن وحذق حذقا تاما حتى اعترف بموهبته ونبوغه الموسيقار الكبير مير ناصر بعد وفاة مومـــــن خـــان مومن قائلا : "لم يبقى أحد يقدّر هذا الفن في دهلي"(2) وترك العزف بها. وهذه الرغبة الموهبة قـــــد قويـــت علاقة المصاهرة مع خواجه محمد نصير الذي كان بارعا في الموسيقى.

وقد أعطاه الله صوتا رخيما فانه أحيانا ينشد غزله بالترنم في الحفل الشعري. ويذكر محمد حسين آزاد عـــن إنشاد الغزل بالترنم في الحفل الشعري :

"وقد سمعت إليه وهو ينشد غزله في حفل شعري أقامه نواب أصغر علي ومرزا خدا بخش قيصـــــر. وكـــان يتغنى ويترنم بصوت رخيم يؤثر القلب وتتحرك الرؤس وجدا وطربا".(3)

---

(1) مقدمه ديوان مون ص25 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 87 (2) مقدمه ديوان مومن ص 25 (3) آب حيات لمحمد حسين آزاد ص 415

معاشقته مع الغواني :

كان مومن خان شاعرا وجيها ورجلا وسيما، له قلب متدفق وعاطفة جياشة ونفس أبية وقادة يكـــره التمـــدح وطلب العطاء. وكان يتنفس في هواء الحب النسيم الطلق منذ شبابه ووقع في حب حورية أرضية في السادس عشر من عمره وذكر حكاية قلبه وحديث حبه في مثنويته "شكايت ستم" سنة 1815 الميلادي إذ لقـــي حبيبتـــه الأولى في حفلة الزواج فتمتع بجمالها وأنوار وجهها شفى غلة حبه العفيف الطاهر منغمسا في أحواله القلبيـــة تاركا جميع أعماله العلمية وشغلت باله هموم العشق والهوى، فانتشرت رائحة الحب في الرياض والبســـاتين وأصبح أمرهما حديث المحافل والنوادي فحالت تقاليد البيت دون حبهما ولقي الحبيبان من قسوة الحرمان ولم تتحمل حبيبته مصائب الهجر والبعد فلبّت نداء الأجل وبقي حبيبها وعاشقها الصادق مهجورا قلبـــه متكســـرة أجنحته وأسف بوفاتها أسفا شديدا حتى أصابه مرض مجهز لفقدان حبه العفيف الطاهر. وكان يسبب إلى القلق والاضطراب حتى أحس بقدوم فتاة جميلة فاتنة فبدأ الكلام والتعارف فيما بينهما ونزح الستار عـــن أجنبيتـــها وتقلل البعد وجاء وقت الوصال واللقاء فجعل يشربان من كأس الحب والوفاء ويتعهدان على العشق واللقـــاء ولكن الحساد والواشون لم يستسيغوا حبهما وحاولوا على المقاطعة بينهما فنجح الوشاة في هـــذا الأمـــر وذاق مومن خان لذة الهجر والبعد عن حبيبته ورشيقة قلبه. وهكذا إنه سقط في مبارزة هذا المجال ثانيـــة وجعـــل يترقب لنتائج حسنة في المستقبل وهو لم يكد يتجاوز سبعة عشر من عمره فهو يقول :-

دیکھیں آگـــے دکھائـــے کیا کیا دن هي ابھی سترہ برس کا سن

(لا أعلم ماذا سيحدث في المستقبل ولم أكد أتجاوز سبعة عشر من عمري)

هكذا كان مومن خان يهيم في وادي الحب والعشق أولا ثم يتذوق ألم البعد والفراق. وفي العشرين من عمـــره مرّ برؤية الحسن الفاتن والجمال الساحر ولكنه كان ختامه مرارة وقلق واضطراب وفي سنة 1819م عبّر عما يجول في خاطره في مثنويته الثانية "قصه غم". ولكن الحب قد تسرب في قلبه وتغلغل في أحشاءه فبعد هـــذا الإخفاق إنه لقي بفتاة كانت مليحة الخط والمذهب في الكلام وآية من آيات الحسن والجمال وكانت اسمها "أمة الفاطمة المتلقبة بصاحب جي" وكانت هذه الحورية الأرضية من أهالي لكناؤ وغادرت إلى دهلي قبيل الثـــورة 1857م في حالة مرضها. وقد سنحت لمومن خان فرصة ثمينة لفحص نبضها فوقع في حبها وأصبح الطبيـــب مريضا وذكر حكايته في مثنويته الثالثة "قول غمين" سنة 1820م. ووصف فيها عن يدهـــا الناعمـــة بأســـلوب صادق :

صاف صندل سے زیادہ وہ ہاتھ　　نرم مخمل سے زیادہ وہ ہاتھ

وقد ذكر الأدباء والنقاد بأنها كانت بغية جاءت الدهلي قبل الثورة 1857م فهي كانت نهاية في الحسن والجمال ووجدت شاعرا وسيما في شخصية مومن خان الذي يفدي قلبه على الرونق والجمال الساحر ولا يأبه بأمور الحسناء الذاتية فتعلق قلبه بها ويتردد عليها وينفق أياما وليالي في ظل شعرها الحالك الفاحم منغمسا نفسه في هواها وهي أيضا تفدي بأبيها وأمها على حبيبها وتعلمت منه قرض الأبيات واختارت اللقب "صاحب جي" وقد ذكر مومن خان هذا اللقب في أشعاره مثل :-

صاحب جی اس غلام کو آزاد کر دیا　　لو بندگی کہ جھوٹ گئے بندگی سے ہم

ولكن هذا من الأسف لمومن خان مومن بأن الشمس التي أشرقت بنور وجهها من الشرق وأبهرت عيون مومن خان بضيائها الساطع قد أخفق وراء الحجاب وعادت إلى مكانها الأول من حيث طلعت. هكذا غادرت صاحب جي دهلي بعد إفشاء سرّ حبهما تاركة وراءها حبيبتها الصادق مومن خان متململا تململ السليم. وبها اكتملت الدورة الثالثة من حبه ووفاءه.

ولم يزل مومن خان ينشأ على منهج الحب والجمال ويتقلب بين فتاة وفتاة ويعلق قلبه بحورية وحورية حتى وجد حبيبة جميلة في حفل الزواج وهي تضرم شعلة العشق والوفاء في قلبه المضطرب. وفي الحفلة لقي الحبيبان وشربا كأس الحب من عيونهما ولكنه بعد انتهاء الحفل إنها منعته عن إرسال رسالة الحب إليها لأنها كانت من أهل الرجعة ولكن مومن قد عيل صبره وأرسل رسالة الحب إليها ولكنها لم تقبل هذه الصداقة بل رفضتها في غضب، فأحس مومن خان هذا الإخفاق والحرمان ووقع في مرض شديد وذكر هذه الحادثة في مثنويته الرابعة " تف آتشين " سنة 1825م.

وفي السنة 1826م تبدأ حركة الجهاد قامها السيد أحمد البريلوي وكان يتعلق بهذه الحركة ولذلك كتب مثنويته الجهادية بكل حماسة وإخلاص ويتمنى أن تلقيه شهادة في سبيل الله. ولكنه في هذه الأوضاع والظروف وضع أساس حجر لمعاشقته الخامسة ويردد تذكرة العشق والغرام في مثنويته الخامسة " حنين مغموم " سنة 1828م وهو قد بلغ تسعة عشرين من عمره ولكنه لقي قسوة الحرمان في هذا أيضا. فكان الأصدقاء وتلاميذه يواسون عليه ويؤلفون قلبه لكي تهدأ نفسه وهكذا إنه ترك طريق الحب والعشق والغرام بل في الأخير كره هذا الطريق. لذلك لما أرسلت الحبيبة السابقة التي ذكر عنها مومن في مثنويته الرابعة إليه رسالة تتمنى فيها اللقاء معه فرفض مومن هذه الدعوة قائلا :

تما مطول بسكه عذر إ ضطراب　　مختصر سا يه لكها مين ـي جواب

كر كيا بيخود هجوم اشتياق　　اب برابر هي همين وصل وفراق

گرملو شكر عنايت كجه نهين　　اور نه ملنـــــے تو شكايت كجه نهين

وبعد ذلك لو أن مومن خان وقع في ورطة الحب لبعض الحسناء ولكن في نهاية الأمر إنه خلّ سبيل العشـــق والغرام وكتب مثنويته السادسة " آه وزارىء مظلوم " سنة 1830م. وذكر فيها توبته عن أعماله السابقة ومال إلى الزهد والورع. ويبدو بأن هناك سببين لتوبته : الأول هو شهادة السيد أحمد الـــبريلوي وشـــاه إســـماعيل الدهلوي في معركة بالاكوت. والثاني هو جفاء الحبيبة وبلغ في نهاية الأمر إلى يقين كامل بأنه لا يرجى من الحسناء الوفاء وإيفاء العهد.

وكذلك الإخفاق في مجال الحب يحوله من مجال الحب إلى مجال الزهد والورع، فإنه يدعو لنفسه في الأخير:

دل نو امید کا ارمان نکلـــــے　　اجابت کی دعا بر جان نکلـــــے

رقیب بو الهوس بیگانه سا هو　　دل جـــانـــان محبـــت آشنا هـــو

میری حالت به رحم آجائـــے اسکو　　عدو کی تلخ کامی بهائـــــے اسکو

وهكذا إنه يرجع إلى ربه تائبا آئبا بالإخلاص التام فهو يقول :-

ادائـــــے آرزو کا کس مین حال اب　　کرون عرض تمنا کیا مجال اب

الهی مومن اتنا ناتوان هي　　که ذکر اس سنگدل کا هی گران هے

أما رحلته فانه غادر دهلي خمس مرات لأغرض عديدة. أولا إنه سافر إلى رامفور فقد ذكر :

دل ســـے رامپور مین لایا جنون شوق　　ویرانه جهور آئـــے هین ویرانه تر مین هم

ثم سافر إلى جهانغير آباد وسردهنه وفيروز فور وجهجهر.

أما زواجه فإنه تزوج مرتين : مرة في سنة 1823م إنه تزوج بفتاة ريفية في الثالث وعشرين من عمره ولكن هذا الزواج لم يكن مستصيغا له لأنه كان حرا طليقا في أموره ولا يحب مثل هذه الفتـــاة الريفيـــة أو كـــانت زوجته لم تتمكن من التسوية فيما بينهما بسبب أموره الذاتية ومهما يكن من أمر فإنهما تفرقا وتخلصا من عقدة النكاح. وعزم مومن أن ينكح نكاحا ثانيا من فتاة عالية النسب والحسب وجاء هذا الوقت إذ تزوج من حفيـــدة خواجه مير درد وكانت له منها بنتان وولدان.

أما وفاته، فكان مومن خان واقفا على سقف بيته ويعتني بإصلاح أمور البيت إذ انزلقت رجله وسقط من السقف وانكسرت عظم أيديه أرجله وكان ماهرا في الفلكيات فأخبر بموته بعد خمسة أشهر فارتحل إلى جوار ربه سنة 1851م.(1) ودفن بجوار الضريح لشاه عبد العزيز الدهلوي ونام نومة العروس.

وهكذا إن الشاعر العبقري الذي ملأ الأدب الأردي بكلامه الساحر وأعطى ثروة هائلة من الفنون الشعرية وهذا الهزار الذي قد تغنى نصف قرن في بساتين الشعر الأردي، ارتحل إلى السماء وبلغ إلى مكانة عالية في عالم الشعر.

---

(1) حيات مومن للسيد عرش كياوي ص 81 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 158

آثاره الأدبية :

وقد ترك لنا مومن خان من آثار أدبية منها :

1- كليات مومن في الأردية :- هذا من أهم تصانيفه في اللغة الأردية وكان يشمل على الأغراض الشعرية العديدة من غزل ومدح ورثاء ومثنوية وقطعات ورباعيات. وقد رتبه تلميذه نواب مرزا شيفته سنة 1843م وطبعه كريم الدين صاحب "طبقات الشعراء" سنة 1846م من مطبعة رفاه عام بدهلي. وبعد ذلك قد طبعته مطابع عديدة وخاصة مطبعة نول كشور التي صدرت الطبعة الأولى ثم كثرت الطباعة ولكنها مليئة بالأخطاء، فهذبه ونقحه الأستاذ ضياء أحمد البدايوني سنة 1934م.

2- ديوان شعري في الفارسية :- هذا يشتمل على الغزل والقصائد والمثنوية والقطعات والرباعيات. وقد رتبه عبد الرحمان آهي وطبعته مطبعة سلطاني لال قلعة بدهلي القديمة سنة 1854م.

3- إنشاء مومن :- وبالإضافة إلى هذه الدواوين الشعرية في الأردية والفارسية، نجد بعض مجموعاته النثرية في اللغة الفارسية وقد طبعته مطبعة سلطان.

4- المتفرقات :- وقد ذكر عرش غياوي عن بعض مخطوطات ذكر فيها مومن عن العروض والأسلوب الخاص في الشعر. ولكن تلميذه نسيم أخذه ونقله.

صورته الجسمانية والنفسية :

لا يمكن ترسيم صورة مومن خان ترسيما كاملا إلا أن فرحت الله خان قد بين صورته الجسمانية يمكن ذكره بالإيجاز :

كان مومن خان مومن "طويل القامة أبيض اللون مائلا إلى الحمرة، وأغر وأسود العينين، وأهدب الأشعـــار، وأزج الحواجب، اقني العرنين لطيف الشفتين دقيق المسربة، وكث اللحية، شثن القدمين، بادن متماسك ضامر البطن عريض الصدر، سابل الأطراف، طويل الشعر يبلغ إلى منكبيه وظهره، وكان يلبس قميصا من قمـــاش دقيق يبدو منه شعر صدره ويلبس سروالا خلخالا من فوقه وضيقا في رجله، ويلبس قلونسوة مثـــل نصـــف القمر" (1) وخلاصة القول هو أنه كان جميل الملبس والزي.

فكان مومن خان وسيم الوجه ووجيها ومحبوبا عند الناس، وله منزلة كريمة عند الغواني والحســـناء. وكـــان فطينا متوقد الفهم والذكاء، وكان جامع الصفات والفنون وقد جمع الله في شخصيته عالما بأسره فكان مـــاهرا في الطب والهيئة والحساب والفلكيات والموسيقى. وكان كاتبا في الفارسية وأمام الغزل في الشعـــر الأردوي. بدأ إنشاد الشعر في السادس عشر من عمره كما ذكر في مثنويته الأولى ولم يزل جاريا على قرض الأبيـــات حتى ترك هذا المجال في سنة 1848م. فكانت مدة حياته الشعرية إثنتين وثلاثين سنة.

أخذ في البداية من شاه نصير ثم ترك إقتداءه ونهج سبيل ناسخ في شعره ولكن إباءته النفسية قد منعتـــه عـــن التقليد والإقتداء وظهر بطريقته الخاصة في عالم الشعر الأردي.

وكانت حياة مومن خان متلونة وإشتهر بلونه الحب والهوى. ووقع في حب الغواني مرات عديدة وتقلب بيـــن حب ووفاء وتردد بين حسن وجمال ولم يترك أي جمال ساحر إلا وتعجب بجمال فاتن آخر. إنه لم يقبـــل أن يكون عبيدا للجمال الساحر بل تمتع بحرارته ولمعانه لا يخضع أمام الحسن والجمال بل يعتز لنفسه فانه يقدم خطوة إلى منازل الحبيب ويؤخر عنه أخرى. فنجد في حياته عناصر متضادة فانه يلتزم طريق الصلـــح مـــع الحبيب أحيانا ويخاصمه أحيانا آخر. إنه يعلق قلبه بين اللهو والزهد، يعتز لنفسه ويفتخر بها أحيانا ويخضـــع أمام الجمال والحورية الأرضية أحيانا آخر. يسجد لقدوم حبيبته ويحس ذلة الخضوع أمامها في الوقت نفســـه. ولا يفرق بين الصيد الصياد بل يعامل مع الحبيب بالعدل والمساواة فيقول :

يادكار مشاعره لفرحت الله بيك ص 152 97 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي ص 97

هين اسير اس کے جو هے ابنا اسير　　هم نه سمجهے صيد کيا صياد کيا

معشوق سے بھی هم نی نمائی برابری　　وان لطف کم هوا تو يهان پيار کم هوا

فهو إن كان مبتغي اللهو وعبيد الحسن والجمال ومتنفس الصعداء تحت شعر الغواني الحالك ولكنه عضو متحمس لجماعة الشيخ عبد العزيز. فهو إن كان يفني نفسه في سبيل الحب والعشق فكان يتمنى نيل الشهادة في سبيل الله أيضا. فهو إن كان يرغب في ان يذهب إلى بيت الحبيب منقلبا على رأسه، ولكنه يزهد عن حبيبه أحيانا أيضا. فهو يمتاز بهذه الطريقة النادرة ويظهر وحدته في هذا المجال. وتنم أشعاره عن أسلوبه الخاص :

مومن يه لاف الفت تقوى هي کيون مگر　　دل مين کوئی دشمن ايمان نهين رها

مومن جلا گيا تو جلا جائے أي بتو　　آخر قدم خادم بيت الصنم نه تها

دل مين هوائے بتکده ظاهر مين کيا حصول　　رهنا حرم مين مومن مکار کی طرح

خدا کی بينيازی هائے مومن　　هم ايمان لائے تهے ناز بتان سے

إنه يغلب في معركة الحب واقتنص الغواني في شبكة حبه ولم يقع في ورطة حب الحسناء إلا قليلا فيقول :-

آئے غزال حشم سدا ميرے دام مين　　صياد هی رها مين گرفتار کم هوا

ونجد في شخصية مومن وأسلوبه الإتزان والعظمة والجمال الفني وأختفي حبه في حجاب مستور. ولا يقول مومن أي شيء إلا بتعقيد خفي فيحذف شيئا ويخلق معاني نادرة ولطائف غزيرة بالرمز والكناية وقد بلغ بعض أشعاره إلى مكانة عظيمة حيث ينتهي الكلام ويبدأ السكوت والتفكير مثل :-

تم هماری کسی طرح نه هوئے　　ورنه دنيا مين کيا نهين هوتا

تم ميری پاس هوتے هو گويا　　جب کوئی دوسرا نهين هوتا

جاره دل سوائے صبر نهين　　سو تمهارے سوا نهين هوتا

شعله دل کو ناز تابش هے　　اپنا جلوه ذرا دکها جانا

شب تم جو بزم غير مين آنکهين چرا گئے　　کهوئے گئے هم ايسے که اغيار پا گئے

وكان لمومن شعور صادق ونفس أبية وفكرة وقادة يحس بأن الناس لا يقدرون كلامه فيشكو الزمن على أجنبيته ويذكر في قصيدته :

نه هنر کی میري برستش نه سخن کی میر ي قدر　　نه کهر کی مري ارزش نه طلا کی معیار

ملے هین خاك خاك مین کیا کیا مرے علوم وفنون　　خدا کسی کو نه دي ایسے طالع منکوس

وكان مومن يتبع مذهب الكتاب والسنة وكان خلافا للبدع والخرافات والتقليد الجارف في الأمور الدينية وداعيا إلى الاجتهاد الذتي. وانتقد على أهل الشيعة والبدع والنفاق نقدا مرا لاذعا في أشعاره. وانتقد على مذهب الحنفية بالرمز والكنايات. والحقيقة هي أن مومن كان يحب الله ورسوله وأصحابه ولذلك ذكر كله في أشعاره بالترتيب فقال أولا في الحمد الله ثم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال في مدح الخلفاء الراشدين وحث الناس على الجهاد في سبيل الله. فهو يقول:

ارباب حديث کا فرمان بر هون　　تقليد کے منکرون کا سر دفتر هون

مقبول روايت ائمه نه قياس　　يعنى که فقط مطيع بيغمبر هون

ليں نام آرزو کا تو دل کو نکال لين　　مومن نه هون جو ربط رکهين بدعتى سے هم

کیا سخت تهي ابن سعد اور ابن زياد　　اور نبى به هے ستم يه بيداد

فرياد امام کى کسى نے نه سنى　　الله سنے مقلدون کى فرياد

منزلته :

وهذا من سحر بيانه بأنه يأتي في أشعاره المعاني النادرة والأخيلة اللطيفة بأسلوب يقوم على المشاهدات والتجربات الذاتية. إنه نفخ روح الحب العذري في جسم الغزل وتفنن فيه بكل إجادة تامة وتنوع بكل براعة كاملة وقدّم نموذجا حيا للحب والعاطفة والوجدان في نماذجه الشعرية واعتنى بجمال العبارة وحسن انتقاء الألفاظ وتوليد المعاني المتنوعة واستخدام الاستعارات والكنايات وإبراز جمال الحبيب بسر خفي في حجاب مستور بأسلوب سهل ممتنع.

هذا هو طريقه الممتاز قد اعترف به الأدباء والنقاد بنبوغه في هذا المجال مجال المغازلة وفن الغزل.

واعترف معاصره مرزا أسد الله خان غالب ببراعته الشعرية العاطفية حينما سمع هذا الشعر :

تم مري پاس هوتے هو گويا جب كوئى دوسرا نهين هوتا

(حينما أنعزل عن الناس، أشعر كأنك مصاحبي ورفيقي)

فقال غالب : "لو سمحني مومن بهذا الشعر لأعطيته جميع ديواني بدلا منه".

وقد إعترف ألطا ف حسين حالي ببراعته قائلا : "أن مومن قد أحرز قصب السبق في الأخلية اللطيفة من أسد الله خان غالب".(1)

وقال محمد حسين آزاد: " وكانت أخيلته لطيفة جدا وفكرته عالية ... وذكر أمور الحب والعشق بطريق طريف ممتع" (2).

وقال نياز فتحفوري : "ولو سمح الناس أن أختار من دواوين الشعراء المتقدمين والمتأخرين (باستثناء ديوان مير تقي مير) فأرجح ديوان مومن خان مومن على غيرها من الدواوين" (3).

وقال خواجه أحمد الفاروقي : إن حكيم مومن خان مومن قدم إحساسا صادقا في الغزل وأطلقه من الطرق المعبّدة وجعله فنا ممتعا جذابا بخاله اللطيف ونظره الحصيف وأسلوبه الطريف"(4).

وقال عطا كاكوي : "إن كل شاعر له أسلوب خاص ولكن مومن خان يمتاز من الجميع من حيث أسلوبه، وكان مرزا غالب يمتزج في صبغة بيدل أو مير تقي مير ولكن مومن خان لم يندمج في أية صبغة" (5)

---

(1) اردو غزل (2) آب حيات لمحمد حسين آزاد ص 442 (3) غالب نامه مومن نمبر ص 116 نقلا عن كلام مومن بر ايك طائرانه نظر في "تكار نمبر كراتشي" لنياز فتحفوري.(4) ذوق وجستجو لخواجه أحمد الفاروقي ص 87. (5) ميخانه غزل لعطا كاكوي

وقال وقار عظيم : "كان مومن عرّف الغزل الأردوي أول مرة بهذا الرمز بأن جميع الطرق التي يدلها العشق للاحتلال في قلب الحبيب، فالإيجاع فيه أكبر أداة مؤثرة وموقعة في القلب ففيه حرقة السم وحلاوة الماء الزلال".(1)

وقال نظير الصديقي : "بالرغم من أن مومن تأثر بالتقاليد الإباحية للشعر الأردي، قد تمكن من أن يؤدي حق المغازلة السليمة، وهذا يكفي لأن نعده من بعض عباقر الشعراء الأرديين في الغزل".(2)

واعترف الدكتور يوسف حسين خان بمكانته السامية في الغزل الأردي : "إن مومن خان قد أدخل في موضوعات الحب الندرة واللطافة وهذا هو ميزاته البارزة. إنه أخلص غزله للحب المجازي ولم يخطو خطوة أخري خارجه ... وقد ذكر مومن خان أحوال الحب وصور الحسن والتجربة في هذا المجال بطريقة يهز الناس طربا فهو إمام لاستخدام الاستعارات والكنايات. ويوجد نموذج المغازلة الجذابة الخلابة في كلامه"(3)

وقد ذكر صاحب "كل رعنا" مساهمته في الشعر الأردي : "إن مومن خان أدخل اللطافة في الأساليب التعبيرية. وهذا ينم عن ذكاوته وطبيعته المتلونة ، ولا يخلو طريق أسلوبه وتعبيره عن التأثير".(4)

---

(1) ميخانه غزل لعطا كاكوي (2) نفس المصدر (3) اردو غزل (4) نفس المصدر.

فنون شعره :

لقد تصرف مومن خان في كل فنون الشعر من غزل وقصيدة ورثاء ومثنوية وواسوخت (صنف فارسي) ولكنه إمتاز بالبراعة في النسيب والغزل وكان له قصب السبق في هذا المجال. ولو أنه تعين حدود الغزل وحصره في المغازلة والمعاشقة مع الغواني، لكنه قام بالتوسيع في من حيث المعاني والموضوعات التي تدل على عبقريته ونبوغه في هذا المجال.

أ - الغزل :

إن مومن خان شاعر عبقري يحتل مكانه سامية في المغازلة فهو إمام الغزل في عصره. ويمتاز غزله باللطافة والعذوبة والجمال الفني والروح الداخلي والأسلوب النادر والطرافة المشوقة والتعبيرات السهلة والمعقدة أحيانا. وغزله يؤثر القلب ويملأه بالفرح والسرور ويفوح منه رائحة الحب والصبابة والعشق والوفاء والهجر والوصال. ويصور أمامنا تصوير الحب الصادق العفيف ولم يطرق أبواب الغزل الإباحي بل قدم هواه في حجاب مستور لا يتمتع به إلا من أوتي عقل سليم.

فكان مومن خان مخلص لفنه وأحبه حبا صادقا وهذب غزله تهذيبا فنيا دقيقا. ولو أنه مال في بعض غزله إلى المنهج التقليدي ولكنه هذا لا ينقص من مكانته فإننا نجد من حيث المجموع في غزله فكرا صادقا مبنيا على المبادئ الحقيقية. لأول مرة أدخل فيه الصداقة الواضحة وأخلصه للجنس اللطيف. وكانت حبيبته ليست طيف أحلامه بل هي كانت مجموعة من لحم ودم تحس حرارة الحب الصادق. وكذلك نجد المعاني اللطيفة والعمق الوسيع وصبغة المغازلة التي منحت غزله ناعمة الورد ورفق القوارير. وخلق مومن منهجا جديدا في غزله فهو كان بين التعقيد والسهولة وبين خارجية أصحاب لكناؤ وداخلية أصحاب دهلي، وكان غزله ملتقى جميلا بين طريقتين. ويبدو امتيازه من هذه الأشعار التالية:-

وصل کی شب شام سے مین سو گیا　　جاگنا هجران کا بلا هو کیا

کچه قفس مین ان دنون لگتا هے جی　　آ شیا اپنا هوا برباد کیا

تم هارے کسی طرح نه هوي　　ورنه دنیا مین کیا نهین هوتا

دامن اس کا هے جو دراز تو هو　　دست عاشق رسا نهین هوتا

مین بهی کچه خوش نهین وفا کرنے　　تم نے اچها کیا نباه نه کی

کیون کر یه کهین منت اعدا نه کرین کي　　کیا کیا نه کیا عشق مین کیا کیا نه کرین کي

فالغزل هو عبارة عن حكاية الحب وحديث القلب مع المرأة، لأن المرأة نصف الرجل وتمام عيشه وحياتـــه، يكمل بها ما ينقصه من بهجة وسعادة، وهي مبعث الرضا والغضب والفرح والترح. وقد وضع مومن خـــان غزله في هذه الحدود وأدخل فيه الموضوعات العديدة للمغازلة ولم يطرق أبواب التصوف والفلسفة والأخلاق بل ذكر فيه متعة الحسن والجمال وحديث الحب والعشق وألم الهجر والفراق وفرح اللقاء والوصال وشكـــوى من الحبيب والاعتذار والاستلطاف وإظهار حرقة القلب ووحشة الليل ووصف الحبيبـــة والاعـــتزاز بـــالنفس والإتيان بالطرافة والندرة في الغزل وهذه كلها تصبغت بصبغة المغازلة والمعاشقة.

وصفة المغازلة توجد عند مومن خان بدرجة كاملة فهو يذكر حديث الحب والهوى بطريق مؤثر. ويبرز هذا الشعور المرهف الوجداني من خلال هذه الأشعار التالية :

جهت كر كهان اسير محبت كى زندگى — ناصح يه بند غم نهين قيد حيات هـــے

ديكهو مت ديكهيو كه آئينه — غش تمهين ديكه كر نه هو جائـــے

ڈرتا هون آسمان ســـے بجلى نه كر پڑ ـــــے — صياد كى نگاه سوئـــے آشيان نهين

رقيب كهائے قسم تو وفا كا آئـــے يقين — تو ميرى جان هـــے كيا تيرا اعتبار مجهـــے

مانگا كرين كـــے دعا اب ســـے هجر يار كى — آخر تو دشمنى هي اثر كو دعا كـــے ساتھ

مومن نه سهى بوسهٔ پا سجده كرين كـــے — وه بت هي جو اورون كا تو اپنا بهى خدا هے

وكان مومن خان يحب الغواني اللاتين يدنين جلبابهن في حجاب مستور. فهو يذكر أمور الحب مثل شعـــراء العرب. والأغلب في الشعر الأردو أن الشعراء يذكرون معاملة حبهم مع الغلمان ولكن مومن خان إجتنب عن هذا الطريق غير الطبيعي. وقد ذكر مومن عن الحسناء المستورات في غزله فيقول :-

مرگ نـــے هجران مين جهپايا هـــے منه — لو اسى برده نشين پر مرتـــے هين

هجر پرده نشين مين مرتـــے هين — زندگى پرده در نه هو جائـــے

اب يه صورت هي كه اـــــے پرده نشين — تجه ســـے احباب جهپاتـــے هين مجهـــے

غيرون ســـے هو وه پرده نشين كيون نه بيحجاب — دغائـــے بـــے اثر مرـــے پرده اٹها كـــے

وكان مومن خان صاحب أسلوب جديد في "بيان منفعة الخبيب لغرض المحب" فهو يذكر حديث الحب مع حبيبه ويظهر فيه منفعة الحبيب ولكنه في الحقيقة إنه يريد ربحه وفائدته، فهو يقول :

ہے دوستی تو جانب دشمن نہ دیکھنا — جادو بھرا ہوا ہے تمہاری نگاہ میں

منظور ہو تو وصل سے بہتر ستم نہیں — اتنا رہا ہوں دور کہ ہجران کا غم نہیں

خواہش مرگ ہو اتنا نہ ستانا ورنہ — دل میں ہر تیرے سوا اور بھی ارمان ہوں گے

شعلہ دل کو ناز تابش ہے — اپنا جلوہ ذرا دکھا جانا

فيظهر من هذه الأشعار المذكورة المكانة السامية لمومن خان ونبوغه في الغزل الأردي.

ب - المدح :

المدح فن الثناء والإكبار والإحترام هو يرسم نواحي عديدة من أعمال الملوك وسياسة الوزراء وشجاعة القواد وثقافة العلماء فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف من بعض الزوايا. فالمديح الديني يحرك القلوب ويملأها بالحرارة الدينية والمدح السياسي يشع الأمة على الحرب والمقاومة ضد الأعداء والمديح الإجتماعي ينقد أعمال الناس لغرض الإصلاح. فالمديح من حيث موضوعه له محاسنه ومعايبه فإنه نشأ في كنوف الملوك والأمراء ورجال السطوة والقوة. ولكن لما انتهت حكم الأمراء ذهبت رياح المديح.

وكان للعرب قصب السبق في المديح. واقتدى الفرس بالعرب وبذلوا قصارى جهودهم في هذا المجال ولكنهم لم يتمكنوا الوصول إلى مكانة العرب في القصيدة. وعن طريق الفرس جاء هذا الفن إلى اللغة الأردية. واشتهر فيه كثير من الشعراء المرموقين من أمثال سودا، وإنشاء، ومصحفي، وذوق، وغالب. ولكنهم لم يتمكنوا القرب بالروح العربي في هذا المجال، لعدم الشعور الصادق والإحساس العميق في إنتاجهم. ولكن مومن خان مومن يمتاز عن أقرانهم في المديح فيوجد عنده الصداقة والإحساس العميق في قصائده كما يقول ضياء أحمد البدايوني :

"الشعراء قبل مومن خان لم يبلغوا أحد إلا سودا إلى مكانة مومن في المدح ولو أن إبراهيم ذوق له مكانة رفيعة في السلاسة والسلامة للقصيدة، ولكن مومن خان فريد في الندرة وقوة التعبير".(1)

---

(1) قصائد مومن (مقدمة) ضياء احمد بدايوني

والحقيقة هي أن مرزا سودا يمتاز في قصيدته بالأفكار المتنوعة والتعبير عن الحياة ولكن مومن يمتـــاز فـــي قصيدته بشعوره الصادق وقوة التعبير. بدأ مومن خان قصيدته في المديح الديني وخاصة في الحمـــد والثنـــاء لله تعالى فيقول :

الحمد الواهب العطايا — اس شور بي كيا مزه جكهايا
والشكر الصانع البرية — جس بي هين آدمي بنايا

إلى آخره :

مومن كو بقاهي بعد ديدار — كيا مزده جانفزا سنايا
الله دكها دے إبنا ديدار — إكشف بجمالك العطايا

وقد جاء مومن في الحمد بأسلوب جديد ففيه الأخيلة البديعة الصادقة والألفاظ الملائمة وفيه سلامة الـــتركيب وسلاسة التعبير. وهذا الأسلوب قلما يوجد في الشعر الأردي فإنه يحمد الله الذي خلقه في أحسن تقويم وجعله من البشر ووعد المؤمنين برؤيته بعد الموت. وكذلك إنه يذكر خطاياه ويستغفر الله من كل الذنوب :

كتني هي قضا هوئين نمازين — پر سر كو نه باؤن ســـے ادّايا
آيا نه كبهى خيال حج كا — تلوا سو بار كر كجهايا
الله مري كناه بي حد — وه هين كه شرمسار كو تكايا

وفي الأخير يدعو الله أن يكون له هما عالية وعزما صارما مثل الأنبياء والصلحاء :

وه رفعت دي كه جس بي — منصور كو دار پر چرهايا
أس كا مري دل به ايك پرتو — جس شعله بي طور كو جلايا
مومن كهي كس ســـے حال آخر — هي كون ترتے سوا خدايا

وكذلك إنه قال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي مدح الخلفاء الراشدين. ولم يقل شيئا في التمدح وطلب العطاء بل أبى نفسه أن يحضر أمام الملوك والأمراء بسط اليدين. وقد نجد قصيدتين قالهما شكرا وامتنانـــا ؛ أولهما قال في مدح نواب وزير الدولة وثانيهما قالها في مدح الملك أجيت سنغ.

تبدأ هذه القصائد كلها بالتشبيب ثم بالتنقل منه إلى المدح ثم في الأخير الدعاء. في التشبيب إنه يذكـــر الحـــب والجمال والاعتزاز بالنفس فيقول :

جاهنا خلق کو صهبا وصنم سے محروم — ایسی نیت پہ بهشت آپ کو واعظ معلوم

هم هین اور یه عشق حقیقی که بجز خدا — نهین پایا کهین دنیا مین وفا کا مفهوم

کهین ایسا نه هو که وه غیرت حور آجائے — هے بهت میرے جنازے به فرشتون کا هجوم

جو اس کی زلف کو دون اپنی عقده مشکل — تو بو الهوس کا بهی هر گز کبهی نه چهوٹے دل

چلا هی جاتا هون مین گو چلا نهین جاتا — غضب هي شوق رسائی دوری منزل

یاد ایام عشرتِ فاني — نه وه هم هین نه وه تن آسانی

جائے وحشت مین سوئے صحرا کیون — کم نهین هے اپنے گهر کی ویرانی

أما التخلص أى التنقل من التشبيب إلى المدح فيقول فيه ضياء أحمد بدايوني : "مما لا شك فيه بأن مومن خان متكلف في التخلص إلى المدح ولا يبدو منه الاستطراد".(1) ولكن مومن أملأ هذا الفراغ بالتعـــابير النـــادرة والأساليب الجذابة فيقول :

جان مومن به گونه گونه ستم — کافر اتنی بهی نا مسلمانی

تجهے معلوم هے که هے وه کون — کهول دون مین یه راز بنهان

أما المدح فنجد بأن مومن يمتاز بالصداقة والإخلاص التام فإنه يبرز فيه كشاعر صادق لا يبالغ فـــي المـــدح بدون الأوصاف الحميدة المتواجدة في الممدوح فإنه يقول في مدح أبي بكر رضي الله عنه :

أي مسیحا دم روان پرور — زندگی بخش دین پیغمبر

گرمئ التفات سے تیری — خشک هو عاصیون کا دامن تر

وقال في مدح وزير الدولة وفيه صدق وإخلاص تام لأنه ليس له أي منفعة ذاتية فيقول :

اس کے عهد کرم کی نسبت سے — بڑه گئی عمر عالم فانی

بی سخاوت اسے قرار کهان — که هے عادت طبیعت ثانی

وفي الأخير إنه يختم قصيدته بالدعاء فيقول :

مومن اب ختم کر دعا پہ سخن — تا کجا لا فیهائ طولانی

ترے حساد و رنج گونا گون — ترے احجاب اور تن آسانی

تیرا اقبال روز افزون هو — جیسی مومن پہ لطف رحمانی

---

(1) مقدمه ديوان مومن (حاشية) لضياء أحمد البدايونى ص 5

ح - المثنوية :

وكان مومن خان يعبر في مثنوياته عما يجول في خاطره من الكرب والألم والحزن والأسى بطريق مؤثر وكانت مثنوياته حكاية صادقة عن حياته وكانت مصبغة بصبغة الهيئة الداخلية للشعر. وقد كتب مثنويات عديدة ستة منها في الحب والمعاشقة وواحدة في المناجاة والبقية الثالثة في أمور دينية وهذه المثنويات كلها سيرة ذاتية للشاعر. يمكن أن نذكر هذه المثنويات بأسمائها المختلفة مع سنة تأليفها :

1- شكايت ستم (1815م) 2- قصه غم (1819م) 3- قول غمين (1820م)

4- تف آتشين (1825م) 5- حنين مغموم (1828م) 6- آوزاري مظلوم (1831م)

7 مثنوية في الحمد 8- مثنوية في مدح النبي 9- مثنوية في الأحوال الذاتية

10- مثنوية جهادية

فالمثنوية لها أهمية كبيرة بعد الغزل فنجد فيها تلون الغزل وعظمة القصيدة ، وفيها حكاية القلب وحديث الحب ، و قصة الحروب و ذكرها، وفيها تذكرة الله و ثنائه، وبيان الملاعب والملاهي. فالحقيقة هي أن المثنوية قد تنوعت بأشكالها المتنوعة ووسعت للأصناف العديدة فاعترف النقاد والأدباء بأهميتها وقبولها بين الناس فيقول العلامة شبلي النعماني : " إن المثنوية في أنواع الشعر هو صنف جامع بالنسبة إلى غيره من الأنواع. ويمكن بيان جميع أنواع الشعر فيها بطريق سليم. لا نجد أوسع صنف من المثنوية للوجدان البشري، والمناظر الطبيعية ، وبيان الوقائع والأحداث، والأفكار والخيالات ".(1)

ويذكر مولانا ألطاف حسين حالي عن أهمية المثنوية قائلا : " ملخص القول هو أن في كل أصناف الشعر التي توجد في القارسية والأردية ، المثنوية صنف أوسع من الجميع. وبناءً على هذا الصنف الشعري يمكن ترجيح الشاعرية الفارسية على العربية".(2) وأضاف بعض الشروط اللازمة للمثنوية قائلا :

1- الربط في الكلام (التسلسل، والتناسب، والنظم والوحدة)

2- التجنب من عناصر ما فوق العادة.

3- البعد عن المبالغة.

4- واقعة في المثنوية لا تكذبها واقعة آخرى.

5- التجنب عن الإباحية. وإذا كانت ضرورية فيمكن ذكرها في وراء الحجاب.

---

(1) شعرالعجم لشبلي النعماني ج/4 ص 230 (2) مقدمه شعروشاعري لألطاف حسين حالي ص 166.

فإذا لاحظنا مثنوية مومن خان تحت هذه الشروط وجدنا بأنه قد أدى حق المثنوية أداء كـــاملا. فإنـــه يعـــبر شعوره ووجدانه بأسلوب طريف مؤثر، وقدم الحب في أشكال متنوعة فهو يذكر فيه الطرافة واللطافة وقصة الهجر والوصال والبعد واللقاء، وفيه إظهار الحسد والكبرياء. واستعجاب الحبيبة بحسنها وجمالها :

آئينه كو ركهتى آگے لا كر — اور كهتى يه منه ســـے منه ملا كر

لو ديكهو ذرا كرو انصاف — هم دونون مين كس كا رنگ هے صاف

ديكهو تو بغور چشم بددور — يوسف كه وه هے جهان مين مشهور

ويذكر حالة الفراق بطريق صادق :

مين كهان اور كهان خود آرائى — بے خودى هو گئ تماشائى

نيند آتى نهين كسى ڈهب ســـے — آنكهين ملتى هين ليك كو كب ســـے

منه مين پڑتى نهين هي كهيل اڑ كر — زندگان هے غصه كهانے پر

ويبين الوقائع والحوادث بأسلوب طريف :

ايك شخص همت خراب وخسته چهره يه غبار غم نشسته

بيٹها تها وه جانشين مجنون — حيران وملول وخوار محزون

كيا جسم تن به خاك الله الله — كيا صورتِ پاك الله الله

وه موئے سيه شب جدائى — هان هجر كى رات سر به آئى

ملخص القول هو أن مومن قدم في مثنويته كل العناصر اللازمة بطريقة حسنة وأسلوب طريف مؤثـــر فـــي القلب.

د- الرثاء :

إن الإنسان حينما بدأ حياته فواجه مشاكل عديدة لترقيتها وتثقيفها وتطورها وإذا توسعت حياته وارتبطت علاقته مع الأحرين فإنه وضع أصولا وقواعد لحياته الاجتماعية والاقتصادية وحالف الأحباء والأصدقاء وحارب الأعداء لأجلها ونتيجة لذلك إنه شاهد الكفاح والنجاح أحيانا وذاق لذة الإسقاط والإخفاق في الحرب. فبين شجاعة الأبطال ومآثرهم حماسة وبكى على قتل الأعزاء الشهداء وذكر خصالهم ومحاسنهم فخرا. فنسمي الأول بالحماسة والثاني بالرثاء.

والرثاء في الأدب ينقسم إلى قسمين من حيث الموضوع : رثاء اجتماعي ورثاء ذاتي. فالرثاء الذاتي يؤثر شخصية الشاعر وذاته فهو يعبر عما يجول في خاطره في الأشعار. ومراثي مومن خان ياتي من باب الرثاء الذاتي. وقد ذكر ضياء أحمد بدايوني عن مرثية مومن خان قائلا :

" هذا أمر لا يختلف فيه اثنان بأن المرثية من هذا النوع توجد نادرا في اللغة الأردية، لأن هذه المرثية مليئة بالخيال اللطيف والأسلوب البديع من جانب وتصوير صادق للأثر والإيقاع من جانب آخر".(1)

وقد قال مومن هذه المرثية في وفاة حبيبتها الأولى تحت عنوان "مرثية معشوقة حور طلعت ملك شيم حسن وصالها في جنة النعيم". وقد ذكر فيها الحسرة والأسف بعد وفاتها فيقول :

جيتي رهي تو لال طمانچے سے منه کیا تغیر رنگ شرم وحجالت فزا ہے آج

وقد نجد فيها الخيال اللطيف والأثر العميق والتراكيب الجميلة والألفاظ المتناسقة ورعاية التشبيهات والتصنعات فعلى سبيل المثال نعرض بعض قطعة منها :

دل کی طرح سے یه بھی جلی جان کو کیا هوا دم مین نمین هي دم مري جانان کو کیا هوا

سر پیٹتا هي شانه بڑا دونون هاته سے کیا جانے اس کی زلف پریشان کو کیا هوا

دل مین شکن هے زلف مسلسل کدهر گئی برهم هے حال کاکل بیجان کو کیا هوا

دعوی هے شوخیون کا غزالان دشت کو اس خوش نظر کی جنبش مژگان کو کیا هوا

مدفن بني زمین چمن وامصیتاه معدوم هو وه غنچه دهن وامصیتاه

دے منکر ونکیر کو نابجار وه جواب جو حور سے کرے نه سخن وامصیتاه

وه خانه باغ عیش محل جس کا نام تما کهنڈ هین اس کو بیت حزن وامصیتاه

کیا اعتبار دهر کا عبرت کی جا هے یه عشرت سرا کبهی کبهی ماتم سرا هے یه

(1) مقدمه ديوان مومن لضياء أحمد بدايوني ص 44 نقلا عن مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير احمد الصديقي ص 323.

أبو عبادة البحتري، حياته وفنه

الحياة السياسية:

إستمكنت الحياة السياسية بعد أن تم بيع السفاح بالخلافة سنة 1320ه وصرف هذا الخليفة كل همه إلى تثبيت عرش الخلافة العباسية وظلت الخلافة تنتقل من حاكم إلى حاكم حتى آل أمرها إلى الأمين، الذي عمل على نقل الخلافة من ولي عهده : المامون إلى ابنه : موسى، فقامت بين الأخوين حروب انتهت بقتل الأمين وصعود المأمون عرش الخلافة سنة 198ه. وفي عصر المامون شبت ثورات في بعض أرجاء بلاده المترامية الأطراف. (1) وقد استطاع المامون أن يخمد بعض هذه الثورات. وأوصى قبل أن يموت، أخاه المعتصم أن يقضي باقيها. ولما تولى المعتصم الحكم، قضى على هذه الثورات.(2)

وكان المعتصم شجاعا جسورا يحب الشجعان ويعتز بهم. فاستخدم الأتراك، وأعطاهم مراتب عالية في حكمه فثبت قدم الأتراك وتحكم نفوذهم في البلاد وأصبحوا "واضعو الملوك". زمن أشهر قوادهم : كان أفشين، أشناس، إيتاح، ووصيف. وهكذا أصبح هولآء الأتراك مصدر خطر يهدد سلطان الخلفاء، بما قبضوا عليه من مقاليد السلطة وزاد الأمر سوءا ما كان بين الأسرة الحاكمة من شقاق وإحن.

وظهر الأثر السيئ لطغيان سلطة الأتراك في عهد المتوكل. فقد أحس المتوكل بتوغل الأتراك في الدولة، واستئثارهم بأموال الخلافة، وإدارتها، وجيشها، فأحب أن يقلل من نفوذهم. فشعر الأتراك بإرادة المتوكل حينما قتل المتوكل إيتاخ. فخاف الأتراك على سلطانهم. وفكروا في هذا الأمر حتى أتاحت لهم الفرصة في مسألة ولاية العهد، وثاروا ابن المتوكل، المنتصر، ضد أخيه المعتز. وزينوا له قتل أبيه ليصعد العرش من بعده. ونفدت الموامرة سنة 247ه، إذ قتل المتوكل ونديمه الفتح بن خاقان ابن أحمد في مجلس كان البحتري معهما فيه.(3)

وهكذا أصبح الخلفاء عبيدين في أيدي الأتراك فيجلس خليفة على كرسي بأمر الأتراك وينزل عنه بأمرهم. ولم تزل الحالة السياسية جارية على هذا الأمر حتى جاء المهتدي فإنه دعا إلى محو التعاليم غير الإسلامية وإزلة الفتن والظلم والطغيان وإخراج المغنين والمغنيات من "سامرا" وإبطاله للملاهي. ولكن ذلك لم يغنه شيئا أمام طوائف الجند فثاروا عليه فولى منهزما.

---

(1) البحتري للدكتور أحمد أحمد بدوي ص 5 نقلا عن تاريخ الأمم والملوك ج/10 ص 268 وتاريخ الدولة العباسية 218. (2) نفس المرجع ص 6 نقلا عن الكامل ج/6 ص 181 و 194.(3) نفس المرجع ص 8

ثم جلس المعتمد على كرسي الخلافة وكان حبل الحكومة في أيدي الأتراك.

ولما ضعفت الحكومة المركزية، ظهرت دويلات صغرى في البلاد. فنرى أحمد بن طولون يحاول الإستقلال بمصر، ويدخل في حوزته بلاد الشام والثغور. ورأينا السامانيين يؤسسون دولة عظيمة فيما وراء النهر. وبعض العلويين يحاولون الاستيلاء على بعض الأقطار. والصفارين يعملون على الاستيلاء على فارس وغيرها (1)

ولما أتت الخلافة في يد الموفق بالله فإنه قضى على الإفساد والتخريب ونجح في كفّ طغيان قواد الأتراك فامتد عمر الخليفة وظل على عرشه حتي توفي سنة 279ه. وبعده جاء المعتضد، ولما أفضت الخلافة إليه، سكنت الفتن وصلحت البلدان وإرتفعت الحروب ورخصت الأسعار وهدأ الهرج. وكان مع ذلك شحيحا بخيلا، قليل الرحمة، كثير الإقدام سفالا للدماء، شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله. وفي عهد هذا الخليفة مات البحتري كما أنه ولد في عهد المامون.

---

(1) الكامل ج/7 ص 103 - 181. نقلا عن "البحتري" للدكتور أحمد أحمد بدوي ص 11

الحياة الاجتماعية:

إختلط العرب بعد أن تمت الفتوح في العهد الأموي بكثير من الأمم المختلفة جنسا ولغة ودينا واجتماعا. فقد فتحوا البلاد من الأندلس وشمال إفريقية ومصر والشام والعراق وفارس وما وراء فارس، واتصلوا بأعظم مدنيتين قائمتين يومئذ، هما : مدينة الفرس ومدينة الروم ؛ فكان لهذا الاختلاط والاتصال أثره الكثير في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي.(1)

ففي هذا العصر ارتفع شأن الفرس، بما كان لهم من فضل في تأسيس الدولة، فأخذوا يجهرون بمآثرهم وما كان لهم من تاريخ ومجد. وكان من ذلك انتشار مبدأ الشعوبية. وكذلك أطلق الفرس في هذا العصر لأنفسهم العنان في البحث الديني ووازنوا بين عقائد أديانهم القديمة وعقائد الدين الإسلامي فانتشرت الزندقة والإلحاد. وشاع في هذا العصر تسرّي الجواري والقيان. وامتلأت قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء بالجواري والقيان. وكان لذلك أثره الكبير في النشء من ناحيتي الجسم والعقل. وكان لهولآء القيان أثرهن في الأدب العربي يومئذ.

كان المجتمع يومئذ مكونا من طبقتين : طبقة الخاصة، وهي الخليفة وأهله ورجال دولته، والأغنياء من الشعب. والثانية طائفة العامة، وهي المزارعون من أهل القرى والصناع والتجار في المدن. أما طبقة الخاصة فقد استأثرت بالخيرات والمال تكتنزه حينا، وتنفقه على ملذاتها حينا آخر. فكان المال سببا في انغماسهم في الترف والحضارة، فبنوا القصور العالية، تحف بها الحدائق الورّافة الظلال، وتجري من تحتها الأنهار، وجعلوا لحياة العمل لباسا ولحياة اللهو لباسا آخر وأكلوا ما لذ وطاب من ألوان الطعام وشربوا ما شفّ وراق من أنواع الشراب. وحشدوا في قصورهم أجمل أنواع الأثاث، واقتنوا الأحجار الكريمة والجواهر، وتأنقوا في تزيين حيطانهم وسقوفهم بصور الذهب والفضة وتفنن الخلفاء في الإحتفال بمواكبهم وإظهار الزينة والأبهة، مما أخذ بألباب الناس وبخاصة الشعراء.

فكان هذا المال سببا في أن النفوس قدست المادة وأحبت المال حبا جما. وجعلت تريد الحصول عليه من أي طريق كان، فانتشرت الرشوة انتشارا مخيفا. ونال الجند إلى شغب والرفاهية من عيش وترف. وتغلبت روح النفعية. أما الطبقة العامة فكانت كادحة مجدة، لتظفر بما يحفظ عليها الحياة.

---

(1) البحتري للدكتور أحمد أحمد بدوي ص 13

فعلى كل حال ازدهر الشعر في النصف الأول من القرن الذي عاش فيه البحـــتري، تحـــت كنـــف الخلفـــاء والوزراء، بل شارك بعضهم في قول الشعر من أمثال المنتصر، والمعتز، وابن الزيات وعبيد الله بن عبد الله. غير أنه مما يلاحظ أن كبار الشعراء في تلك الحقبة نبغوا في عهد الإستقرار السياسي قبل مصرع المتوكـــل، فلما اضطربت الأمور باستبداد الأتراك لم ينجب العصر شعراء كهولآء الذين رأيناهم في عـــهد الاســـتقرار. وكان امتداد عمر هولآء مما جعل عهد الاضطرابات الذي سقطت فيه الخلافة بعد المتوكل عامرا بـــالشعر و بعد موتهم أقفر الميدان من الشعراء الكبار.

قد شهد القرن الذي عاش فيه البحتري أبا تمام الذي أفرط في استخدام المحسنات البديعة وغالى في حب هذه الصناعة غير أن كثيرا من الشعراء الذين عاصروا البحتري لم يفرطوا إفراط أبي تمام في ملء شعرهم بهذه الطريقة الجديدة في استخدام المحسنات.

لم تخرج أغراض الشعر يومئذ عن الأغراض التي عرفت قبل هذا العصر : من مدح وفخر وغزل وهجـــاء ورثاء ووصف وتهكم الخ. وازدهر في هذا العصر وصف الطبيعة، ووصف مظاهر الحضارة التي ارتقـــت في هذا العصر العباسي.

الحياة العقلية:

ولقد اعتنى بنو العباس بالعلم والمعرفة والثقافة. وشغفوا بعلوم الأمم الأجنبية ذات الحضارة والمدنية. فأقبل العلماء على التأليف والترجمة. وقد حثّ أبو جعفر المنصور العلماء على جمع الحديث والفقه. ولم يقتصر المنصور على تعضيد العلوم الإسلامية بل شجع العلماء والمترجمين من السريان والفرس أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والمنطق وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده. وما انتهى عصر المأمون والواثق حتى لم يبق علم مما صنف فيه اليونان والسريان والفرس والهنود إلا ترجم أكثر من كتاب.

وانقسمت العلوم إلى قسمين عظيمين : العلوم الإسلامية : من شرعية ولسانية والعلوم الدخيلة : من فلسفة إلهية وطبيعية ورياضية وغيرها. وقد ورث القرن الثالث الذي عاش فيه البحتري ما أنتجته النهضة الفكرية من أوائل أيام الدولة العباسية. ثم أضاف إلى ذلك ثمارا جديدة في ألوان المعارف.

قد دونت العلوم الشرعية في القرن الثالث الذي عاش البحتري فيه. كتفسير القرآن وجمع حديث الرسول الكريم. واستنباط أحكام الدين مما عرف بعلم الفقه. والتدليل على العقائد الدينية مما عرف بعلم الكلام وبرز مفسر كبير من أمثال إسحاق بن راهويه المتوفى سنة 238ه. واعتنى العلماء في العلوم اللسانية كالنحو والصرف. فظهر كتاب سيبويه المتوفى سنة 180ه في النحو على مذهب البصريين. كما ظهر كتاب الحدود للفراء المتوفى 207 في النحو على مذهب الكوفيين.

وقد حاول العلماء في اللغة جمع ألفاظ اللغة في كتاب. وتميزت علوم البلاغة بفروعها الثلاثة المعروفة اليوم من معان وبيان وبديع. وقد شهد هذا العصر مبدأ تكوينها في كتاب مجاز القرآن الذي ألفه أبو عبيدة المتوفى سنة 206ه. وقد تعرض الجاحظ في "البيان والتبيين" بعض مسائل البلاغة. وقد ألف ابن المعتز كتابا سماه "البديع" وأدخل فيه بعض مسائل البيان كالاستعارة والكناية.

وكذلك شهد عصر البحتري بعناية العلماء بجمع الشعر وفي البداية جمع المفضل الضبي المتوفى 168ه كتابه المفضليات بأمر جعفر المنصور ولما جاء القرن الثالث توجه أبو تمام المتوفى سنة 231ه إلى هذا المجال وجمع كتابه "الحماسة" و "فحول الشعراء" و "الاختيارات من شعر الشعراء" ثم جاء بعده البحتري وجمع كتابا سماه "الحماسة" أيضا.

والشعر قد سبب إلى نقده فبرز نقد الشعر العربي في هذا القرن وظهرت كتب كثيرة من أمثال كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة 231ه وتلاه الشعر والشعراء لإبن قتيبة المتوفى سنة 276ه. بالإضافة إلى ذلك مال الكتاب إلى النثر فجمعوه ودرسوه فظهرت الكتب الجامعية لأشتات من الخطب وأنواع من الرسائل والعهود والمكاتيب وكان الجاحظ المتوفى 255ه أول من سنّ هذه الطريقة فألف كتبا كثيرة من "البيان والتبيين" وتبعه أبو العباس المبرد المتوفى سنة 285ه في كتابيه "الكامل" و"الروضة".

كان علم التاريخ في هذا العصر متميز الأنواع بين تاريخ أنساب، وتاريخ سيرة الرسول الكريم وتراجم وتاريخ المغازي والفتوح. على سبيل المثال وضع إبن جرير الطبري المتوفى سنة 310ه وكذلك ظهرت علم الجغرافية فألف إبن خرداذبه صديق البحتري المتوفى سنة 280ه كتابه المشهور "المسالك والممالك" وقد استفاد البحتري من ذلك كله في رحلاته.

أما العلوم الدخيلة فهي أربعة أقسام : طبيعية ، كالكيمياء والطبيعة والطب والصيدلة والفلاحة، وعلم الحيوان والنبات والجماد. ورياضية، كالجبر والحساب والهندسة والحيل والفلك والجغرافية النظرية. وإلهية، تشمل كل ما وراء الطبيعة. وسياسية، كتنظيم الملك وتدبير المنزل وتدبير المال والأخلاق. وكانت في العلوم جاءت خلال الترجمة وهي كانت جارية على النهج القديم. فلما اتسعت الترجمة في زمن المامون أقبل العلماء والمترجمون على التصحيح ما ترجموا من قبل. وقد كان للفلسفة تأثير كبير في ذلك العصر. فتأثرت بها العلوم الشرعية وتأثر بها الأدب. وقد ثار البحتري على من أراد أن يخضع الشعر لقواعد المنطق.

وفي هذه الأوضاع السياسية والاجتماعية والعقلية نشأ أبو الوليد البحتري واجتنى ثمار المعرفة من كل أشجار العلوم المثمرة وأعطى الأدب العربي العباسي ثروة هائلة للأدب والشعر.

ولادة أبي عبادة البحتري ونشأته ووفاته:

البحتري هو الوليد بن عبد بن يحيى فهو قحطاني من ناحية أبيه ولكنه عدناني من ناحية أمه التي تنسب إلى شيبان. ولد في العام السادس بعد المأتين هجرية وسماه أبو الوليد وكناه بأبي عبادة ولكن الاسم الذي شهر به الشاعر واستتر تحت شهرته اسمه وكنيته هو البحتري نسبة إلى البحتر أحد أجداده.(1)

شهدت منبج ولادة البحتري، وهي في الشمال الشرق من حلب، وعلى بعد قريب من غربي الفرات يقول عنها ياقوت الحموي : "هي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة، وأرزاق واسعة، في فضاء من الأرض، كان عليها سور مبني من الحجارة، محكم".(2)

قد نشأ البحتري وترعرع بين قومه الطائيين وعاش عيشة الأعراب وقضى في منبج طفولته وصباه يحصل العلم ويجني ثمار المعرفة حتى شب طوقه في دنيا الشعر.

تلقى ثقافته الأولى في منبج وهي لا تزيد عادة على حفظ القرآن وشتى من بليغ الشعر والنثر. وتعلم أحكام الدين، وسنة الرسول، وأخذ طرف من علوم اللغة، وأخبار الفتوح والمغازي وأيام العرب وأنسابهم.

جرى الشعر على لسان الفتى، فقد ولد موهوبا تلك الملكة الشعرية فاستكثر من حفظ الشعر وترديده. ولما وجد البحتري في نفسه هذه الموهبة الشعرية فأراد أن يصقلها ويهذبها، على يد خبيرة ومدربة، فمضى يلتمس أبا تمام وكان يجلس بحمص للشعراء فعرض عليه شعره فإنه استحسن وخلع عليه تاج ولاية عهد إمارة الشعر وقال : "أحسنت ، أنت أمير الشعر بعدي"(3)

وقد وقع البحتري في فتاة جميلة اسمها "علوة بنت زريقة الحلبية" خلال سفره إلى حلب. فتأثر بها كثيرا وتردد ذكرها في غزله. وكانت علوة لها شأن في عالم الجمال وكانت آية من آيات الحب والهوى والعشق والغرام. ولو أن العرب لم ينصرفوا عن التصوير لخلقوا لنا دمية لعلوة. وارونا كيف كانت هذه الفتاة التي أضرمت نار الوجد والصبابة في صدر الوليد. وعلمته كيف تكون الشكوى، وكيف يكون الأنين. وإن الشعر لمدين لهذه الإلهة التي أوحت إلى البحتري أن يقول بعد أن خلاها بالشام وسكن العراق :-

أعيدي فيّ نظرة مستثيب توخّى الأجر ، أو كره الأثاما

ترى كبدا محرقة ، و عينا مؤرقة ، وقلبا مستهاما

---

(1) البحتري للدكتور أحمد أحمد بدوي ص 11 نقلا وفيات الأعيان ج/2 ص 178. (2) معجم البلدان ج/8 ص 169. (3) الشعر والشعراء في العصر العباسي للدكتور مصطفى الشكعة ص 695 نقلا عن أخبار البحتري ص 69 ووفيات الأعيان ج/2 ص24.

تناءت دار "علوة" بعد قرب فهل ركب يبلّغها السلاما

ألام على هواكِ وليس عدلا إذا أحببت مثلك أن ألاما

وقد ذكر البحتري كثيرا من عواطف الحب، في القرب والبعد، والرضا والسخط. فهو يتحدث عما في قلبه من الحب، يصف جمال الحبيبة وسحر حبها. والحبيبة هي: بيضاء ، مرهفة القد، تمشي في دلال، وتميل من اللين، وردية الخد، ساحرة العين. فهو يقول :-

بيضاء ، يعطيك القضيب قوامها ويريك عينيها الغزال الأحور

تمشى ، فتحكم في القلوب بدلّها وتميس في ظل الشباب وتخطر

وتميل من لين الصبا ، فيقيمها قدٌّ يؤنث تارةً ، و يذكر

وظل البحتري يذكر هذا الحب، ويشتاق إلى حلب، بعد أن رحل عنها ويحن إلى هذا العهد الذي قضاه فيها فيصف موقف وداع لمن يحب، إنهملت فيه الدموع، ويصور لنفسه جمال حبيبته ويؤكد إتجاه قلبه الدائم إليها. ويراها أعطيت من الجمال ما لم يعطه أحد بل هي أجمل ما في الوجود.

أراكِ أحسن من أراه ، وإن بدا منك الصدود ،وبان وصلك أجمع

وكان لهذا الحب والهوى والوجد والصبابة أثر عميق في غزله.

ورحل البحتري إلى بغداد وسرّ من رأى، في عهد الواثق، ينهج نهج أسلافه في عرض الشعر على رؤساء الدولة وكبار رجالها. فنشأ في كنف الخلفاء ومدح الخلفاء من أمثال الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز ثم المهتدي والمعتمد. وكذلك مدح الوزراء من أمثال محمد بن عبد الملك الزيات، والفتح بن خاقان وغيرهما.

هكذا اتصل البحتري بالخلفاء والوزراء والأمراء وعاش في ظل الحضارة البغدادية يتقلب بين العظمة والأبهة، ويتنقل ما بين البرك والقصور متلونا بألوان الفن والجمال، مالئا رئته بنسيم الرقة والدلال، وتأثر بعصره الذي جمع بين عوامل القديم والجديد. فظل - على الإجمال - بدوي النزعة في عهد الحضارة التي لم يتأثر بها إلا بصبغتها الخارجية، وشذّ بذلك عن سواد شعراء عصره الذين توغروا على اقتباس الثقافات والفلسفات الدخيلة وإدخالها في شعرهم. ومن ثم أصبح فيه قول الآمدي " "إنه أعرابي الشعر، مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف".(1)

---

(1) الموازنة للطائين ص 2

ولقد اعتنى البحتري في شعره بسبك اللفظ والمعني واستمد معانيه من وحي الخيال وجمال الطبيعة لا من قضايا العلم والمنطق. فاعاد للشعر ما ذهب من بهجته ورونقه.(1) "... وإن هذا الشاعر الذي يرق أحيانا حتى يصير شعره كالجدول الرقراق يشف ماؤه الصافي عن حصبائه، يهدر أحيانا أخرى كالمحيط تعلو أمواجه وتهبط وتنفسح رقعته فلا يعرف مدى إنتهائه. ... وأطلق النقاد على شعره "سلاسل الذهب" لعذوبته وجماله. (2) وإلى ذلك أشار المتنبي بقوله "أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر هو البحتري".(3) ثم صارت له طريقة خاصة في الجزالة والعذوبة والفصاحة حتى امتاز من أستاذه ومدربه. وبهجا معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة البحتري في إيثار اللفظ الجزل، والأسلوب الفصيح السهل، دون تعمق في المعني، ولا إفراط في الإيجاز.(4)

إن طبيعة البحتري طبيعة شاعر أنيق اللفظ والعبارة مشرق الجملة سلس المسلك مستقيم نهج بناء القصيدة، غير متعسف في خلق المعاني ولا غال في اصطناع الزينات والاستعارات بل إنه يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام. هذا هو الأمر الذي يجعل البحتري رأس مدرسة الديباجة المشرقة ورئيس جماعة العائدين إلى عمود الشعر.(5)

وهكذا أن الشاعر الذي ملأ دنيا الشعر العربي بالطرب والغناء وأعطى ثروة هائلة من الأدب العاطفي الوجداني، تهز به أوتار القلوب، قد قضى نحبه وأكمل مدته ولبى نداء الأجل وشرب كأس المنون سنة 284ه. وبقى اسمه ذكرى صالحة وقدوة مثالية للشعراء الذين أتوا من بعده.

---

(1) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن زيات ص 296 (2) مقدمة ديوان البحتري المجلد الأول لحسن كامل الصيرفي ص 12 - 13 (3) المثل السائر لإبن الأثير (4)تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن زيات ص 290. (5) الشعر والشعراء في العصر العباسي الدكتور مصطفى الشكعة ص 694.

آثاره الأدبية :

ترك لنا البحتري آثارا أدبية غير قليلة منها:

1- ديوانا ضخما : ظل غير مرتب إلى أيام أبي بكر الصولي (المتوفي 335ه)، فجمعه ورتبه على الحروف، وجمعه أيضا علي بن حمزة الأصبهاني (المتوفى 375ه) ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بديوان أبي تمام. (1) ولم يظفر ديوان البحتري - على قوة شاعريته - من كثرة الجمع والشرح والتعليق. "إلا أن يكون كتاب "عبث الوليد" للمعري وكتاب "الموازنة" للآمدي لا غير".(2) ولكن لا يوجد بشيء من هذه الشروح فقد عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي سنة 1963م.

2- كتاب الحماسة : وقد اختاره البحتري من شعر نحو ستمائة شاعر، أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين، وقسمه أربعة وسبعين ومائة باب، ترجع في الحقيقة إلى ثلاثة أبواب : واحد للحماسة، وثان للأدب، وثالث للرثاء. تمتاز حماسة البحتري بغزارة المعاني وكثرة الشعر الذي يتعلق بالأدب والأخلاق.

3- كتاب معاني الشعر : لم يصل إلينا هذا الكتاب إلا أن ياقوت الحموي قد ذكر في كتابه "معجم الأدباء (85:8) أن له كتابا عنوانه "معاني شعر البحتري وكذلك يذكره جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة 911ه) في "بغية الوعاة". وذكر أشناندانى " أن كتاب البحتري كان يضم بين دفتيه أبياتا من الشعر العربي بها كثير من الألفاظ التي تحتمل معاني عدّة، ثم يتكفل البحتري بشرح ذلك كله".

والكتابان يدلان على ما وصلت إليه الثقافة الأدبية للبحتري من اتساع وعمق.

---

(1) مقدمة ديوان البحتري المجلد الأول لحسن كامل الصيرفي ص 26-27 (2) نفس المصدر ص 27

صورته الجسمانية والنفسية :

ليس لديّ ما يرسم صورة البحتري، ولكن الغالب هو أن وجهه وجسمه لم يكن بهما قبح أو عاهة ظاهرة، وأنه كان أ ميل إلى النحافة منه إلى البدانة. وكان على شيء من الوسامة وأما ما ورد صاحب الأغاني "أن كان من أوسخ الله خلقا"(1) ففيه شك لأنه كان يجالس الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، وهؤلاء -ولا ريب- ينفرون من وسخ الثياب، بل نؤكد أنه كان نظيف الثوب نظافة يستطيع بها أن ينادم خليفة، وأن يمنحه الخليفة بعض خلعه، كما يدل على ذلك قول البحتري للمعتز :-

وأكثرت زادي من بدور تتابعت لجودك فيهن اللجين المطرق

ومن خلع فازت بلبسك ، فغتدي لها أرج من طيب عرفك يعبق

ويروي صاحب الأغاني أيضا أن البحتري كان "أبغض الناس إنشادا : يتشادق، ويتزاور في مشيته : مرة جانبا، مرة القهقرى، ويهز رأسه مرة، ومنكبية أخرى، ويشير بكمه، ويقف عند كل بيت، ويقول : أحسنت والله، ثم يقبل على المستمعين، فيقول : ما لكم لا تقولون : أحسنت، هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله".(2) ولكنه كان منصفا يعترف بالفضل لأهله ولا يدعي ما ليس له.

نشأ البحتري فقيرا ولكنه لم يدع هذه النشأة تحول بينه وبين نيل الغنى، فحصل على الأموال والثروة بعزيمته القوية ولا يرضى بالواقع ولا يقنع بما بين يديه، وكانت حياته دليلا على ذلك إذ يقول :

وأرى همتي تكلفني حم ل أمور خفيفهن ثقيل

ولو أني رضيت مقسوم حظي لكفاني من الكثير القليل

فهو لا يرى القناعة في المجد والغنى فضيلة، ولا يرى أن يلقى المرء بالسلاح، وهو ميدان الجهاد لنيل الآمال، إذا عرضت له صعوبة ؛ لأن العزيمة القوية تذللها

ما زال لي من عزيمتي وصريمتي سند يثبت وطأتي أن تدحضا

لست الذي إن عارضته ملمة ألقى إلى حكم الزمان وفوضا

ومع ذلك كان البحتري متفائلا، لا يرى الشدائد دائمة لا تريم، ولكنها عما قليل تنجلي :

هل الدهر إلا غمرة وانجلاءها وشيكا ، وإلا ضيقة وانفراجها

تقضّى الهموم، لم يلبث طروقها زماعى ، ولم يغلق عليّ رتاجها

---

(1) الأغاني للأصفهاني ج/24 ص 8209 .(2) نفس المصدر ص 8220

وكذلك البحتري عارفا بقدر نفسه مغرورا بشعره فيقول

وأعلم أن السبل ما فاجأتكم بزور من الأقوام مثلي ولا وفد

أهز بالشعر أقواما ذوي وسن في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا

علي نحت القوافي من معاطقها وما علي إذا لم تفهم البقر

ومضى أكثر المؤرخين على أن البحتري كان بخيلا. ولكن صاحب البحتري جرجس كنعان أنكر موقف المؤرخين لأنه قد يوجد في شعر الشاعر ما يثبت كرمه، كقوله للمتوكل :

ووثقت بالخلق الجميل معجلا منه ، فأعطيت الذي أعطاني

والبحتري كثير الشراب شأن أكثر أهل زمانه وزاد انحرافا بتردية في رذيلة الولع بالغلمان فقد كان كثير الإفساد لهم. وكان له غلام اسمه نسيم جاء ذكره في بعض أشعره. وكان متقلبا قليل الوفاء لمن أحسن إليه باستثناء وفائه لأبي تمام.

فالبحتري معتزلي في أيام الواثق، سني في أيام المتوكل، شيعي في أيام المنتصر، ولا شك أنه ما كان ليجد حرجا في أن يتحول إلى مذهب آخر لو اقتضت الظروف أن يفعل ولبئس ما كان يفعل.(1)

وكان البحتري يؤمن بالعقيدة التي بينها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله : " لا يعقد أحدكم عن طلب الرزق، وهو يقول : اللهم ، ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة" لذلك إنه يومن بأن النجاح مرهون بالجد والعمل :

لست بالواهن المقيم ، ولا القا نل يوما : إن العنى بالجدود

هذه الصور وجوانب لحياة البحتري سيفيد دارس شعره. فإن سلوك المرء وخصاله تشكلان الجانب الأكبر من شخصيته ، وشخصيته هي صاحبة الأثر الأقوى على ما ينتج من قول أو ما يصدر عنه من عمل.

---

(1) الشعر والشعراء في العصر العباسي للدكتور مصطفى الشكعة ص 699.

منزلته :

يتبوأ البحتري مكانة رفيعة بين الشعراء العربية، لأن مذهبه الشعري، والنهج الذي إتبعه في نظم قريضه مذهب سديد؛ فالشعر هو لسان العاطفة، والمعبر عن الوجدان، ويستخدم الخيال في تصوير ما يجيش بالنفس من إحساسات، كما مر في الباب الأول تفاصيله. فالبحتري قد عني بالشعر وتأثيره عناية كاملة لذلك قال صاحب الآمدي : " إنه من المطبوعين على مذهب الأوائل، ولم يفارق عمود الشعراء المعروف.

وكان البحتري أستاذا للشعراء في تجنيب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام وغريب الاستعارات كما امتاز شعره بالاستواء وأنه قلما ينحط في بعضه انحطاطا قبيحا.

أجمع النقاد المتقدمين على وصف البحتري بسلاسة العبارة وحسن الديباجة يعترفون بنبوغه في الشعر العربي وإليك آراء بعض من كبار المتقدمين :

يقول الثعالبي : "يضرب به المثل لأن الإجماع واقع على أنه في الشعر أطبع المحدثين والمؤلدين. وإن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة، ويقال إن شعره كتابة معوقة بالقوافي".(1)

يقول إبن رشيق : "وأما البحتري فكان أملح صنعة من أبي تمام وأحسن مذهبا في الكلام يسلك فيه دماثة وسهولة مع الصنعة وقرب المآخذ ولا يظهر فيه كلفة ولا مشقة".(2)

ووصفه إبن الأثير بقوله : " فإن مكانه من الشعراء لا يجهل وشعره السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريبا ضوءها بعيدا مكانها وكالفتاة لينا مسّها وخشنا سنانها. وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الإطراب وعنقاءهم في الأتراب".(3) ويصف في موضع آخر فيقول : "وترى ألفاظ البحتري كأنها حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي".(4)

ومن أقوال الآمدي في كتابه "الموازنة" : " فإن كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ فالبحتري أشعر".(5)

ويقول الثعالبي في كتابه "برد الأكبا" إن أبا القاسم الإسكافي قال : "إستظهاري على البلاغة بثلاثة : القرآن ، وكلام الجاحظ ، وشعر البحتري".(6)

سئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : "أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري".(7)

يظهر من كلام النقاد بأن للبحتري مكانة سامية رفيعة لدى شعراء عصره .

---

(1) العمدة ج/1 (2) نفس المصدر (3) المثل الثائر ص 320 (4) نفس المرجع ص 106 (5) الموازنة للآمدي (6) مقدمة ديوان البحتري المجلد الأول لحسن كامل الصيرفي ص 1 (7) نفس المصدر ص 1.

فنون شعره :

لقد كان البحتري شاعر ملء زمانه وملء السمع والبصر، ناهز الثمانين من العمر ناشيا في كنف الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد والكتاب، منادما ستة من الخلفاء ابتداء من المتوكل ثم المنتصر والمعتز والمستعين والمهتدي والمعتمد. وظل يقول الشعر أكثر من ستين عاما، فكان من الطبيعي أن يضرب في كل أغراضه بسهام من مديح واعتذار ورثاء وهجاء وغزل وخمر ووصف ، ولقد أجاد البحتري إجادة تامة في المدح والقصد فيه والقدرة على تصوير أخلاق الممدوح والإبداع في وصف القصور الفخمة، وعلى كل حال لا تخلو قصائده من افتتاح بالغزل. وتصبغت بصبغة المغازلة والنسيب والعاطفة العميقة الحساسة. وبالجملة إنه تصرف في كل فن من فنون الشعر :

أ - المدح :

مدائح البحتري من الكثرة بمكان، ومن الجودة أيضا بمكان. ويصاب المرء بحيرة مؤكدة إذا ما حاول اختيار بعضها وترك بعضها الآخر. وقد عرض كل هذه القصائد على الطريقة التقليدية. ولو أنه مال إلى الطبقة العليا للتمدح وطلب العطاء ولذلك تصبغت أشعاره بلون التكلف فيه قليلا ولكننا نستفيد من مدحه كثيرا إذا نظرنا إليه لا على أنه مرتبط بشخص خاص، ولكن على أنه تصوير للفضائل الإنسانية التي ينبغي أن يتصف بها الخليفة والوزير مثلا ، ورسم للمثل الأعلى الذي ينبغي أن يكون عليه الحاكم أو الكاتب. أوَ ليس هذا الشعر الذي يلقى على مسامع الممدوحين جديرا أن ينبههم إلى رسالتهم في الحياة، وأن يقودا الأمة إلى خير سبل الحكم.

وعلى هذا الأساس يمكن عرض شعر البحتري في المدح، وقد خلعه على طوائف مختلفة، فيها الخليفة، وفيها مستشاره، وفيها الوزير، وفيها الكاتب، وفيها النديم، وفيها القائد، وفيها غير أولئك من كبار الرجال في أيامه. والبحتري يعد من صفات الحاكم المثالية دماثة الخلق، وطلاقة الوجه، والكرم في العطاء، ويذكر من بين ما يحببه إلى رعيته دفاعه أطراف وطنها، ومحاميته عنها، وعطفه عليها، ورقته في معاملته أبناء شعبه، ومساهمته بماله في كل ما يعود عليها بالخير، وحراسته لحمي دينهم بسيفه الصارم إن ألمت بالدين نائبة، وعنايته بأمر ثغورها، لأنها موطن تسرّب العدو، حتى لا يستطيع أن ينال منها منالا.

وهو الذي يحوط حمى الدين، ويكف الظالم عن الاسترسال في ظلمه، وينال به المظلوم حقه، ولا يقف في طريقه ظالم يضهمه، ويقيم الجهاد، ويقود شعبه إليه، ويؤدي فروض الدين، لأن الدنيا لا تكون جميلة إلا إذا كان معها عمل صالح يبقى نعيمه في الآخرة. وهكذا نستطيع أن ننظر إلى المدح نظرتنا إلى شعر يصور بعض نواحي المثل العليا للصفات الإنسانية.

ب - الفخر :

البحتري فخور بنفسه وشعره ، وكثير من قصائده في المدح لا يخلو من الإدلال بهما، وديوانه فضلا عن ذلك قصائد أنشأها للفخر قصدا ، ولعل أظهر هذه القصائد إثنتان ، مطلع الأولى :

إنما الغي أن تكون رشيدا فانقصا من ملامة ، أو فزيدا

ومطلع الثانية :

أحبب إليّ بطيف سعدي الآتي وطروقه في أعجب الأوقات

والقصيدة الأولى أنشأها في سن الشبيبة، حين لم يكن قد أقام لنفسه مجدا يعتمد عليه في الفخر، ولذا بنى فخره على قبيلته : طيئ، وتكاد القصيدة كلها تقف عند تمجيد طيئ ومدحها ، ودار هذا التمجيد حول أربع صفات ، هي : البأس ، وما يتبع البأس من شجاعة ونجدة ، والكرم ، وكثرة العديد ، وجاحة الأحلام ، وهي عينها الصفات التي كان العربي الصريح يمجد بها منذ أقدم العصور ومن فخره في هذه القصيدة :

سائل الدهر مذ عرفناه ، هل يع رف منا إلا الفعال الحميدا

لم نزل قط مذ ترعرع نكسو ه ندى لينا ، وبأسا شديدا

فهو من مجدنا يروح ويغدو في علا لا تبيد حتى يبيدا

وكانت القصيدة كلها جارية على هذا النسق القوي.

أما القصيدة الثانية فقد أنشأها في سن الأربعين ، بعد أن ظفر بأقصى ما يرجوه في ذلك العصر، وهو يتصل بالخليفة، ويصبح من خاصيته، مشفعًا مسموع الكلمة، ولذلك إتجه فيها إلى الفخر بنفسه، مباهيا بما ظفر به من مكانة وما ناله من مجد.

أما فخره بشعره فكثير في قصائده مثلا إنه يقول :

وأنا الذي أوضحت غير مدافع نهج القوافي ، وهي رسم دارس

أهز بالشعر أقواما ذوي وسن في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا

ح - الرثاء :

كان من خلاق البحتري المحمودة احتفاله بالرثاء وفاءً للموتى وتمجيدا لذكراهم واعترافا بالفضل لأصحاب الفضل منهم ، وإنه سئل في أمر فضل بعض مراثيه على بعض مدائحه في أبي سعيد الثغري وولده، فقال : من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح. فالبحتري إذن يستهدف الإجادة في رثاء من فقدهم بدافع الوفاء والخلق الكريم، والبحتري شاعر مطبوع القريحة سلسال الأسلوب، ومن ثم جاءت مراثيه مطابقة لقريحته وملائمة لشاعريته إحسانا وتجويدا.

رثى البحتري من كبار رجال الدولة، فيهم خليفة ووزير، كما رثى قومه وغلامه. وهو حين يرثى قد يذرف الدمع على الميت، ويذكر فجيعته فيه ، وقدْ يسجل له ما امتاز به من خلال إنسانية رفيعة، وقد يجمع في رثائه بين البكاء والتسجيل.

والبحتري مجيد عندما يصور عواطفه الحزينة، ومن أقوى قصائده رثائه ما أنشأه باكيا مقتل المتوكل، وقد شغله فيها البكاء، والألم من الغدر، وخيانة الجند، وتواطئهم مع وليّ العهد، شغله كل ذلك عن تسجيل صفات الخليفة ومآثره. فهو يقول في مطلعها :

محلُّ على القاطول أخلق دائره وعادت صروف الدهر جيشا تعاوره

كأن الصبا توفي نذورا إذا انبرت تراوحه أذيالها وتباكره

وربّ زمان ناعم - ثمّ - عهده ترق حواشيه ويونق ناضره

إن البحتري صاغ رثاءه هذا في ثوب من الألفاظ أنيق وإطار من الصور رقيق بحيث بدت المرثية وكأنها كلام مترف رغم أن المجال مجال حزن والموقف موقف أسى. ولكن هذه طبيعة البحتري في شعره. ويورد الحصري للبحتري بيتين في رثاء المتوكل والفتح والتحسر على قتلهما ، عمد فيهما إلى الإفتنان بقوله :

مضى جعفر والفتح بين موسَّدٍ وبين قتيل في الدما ومضرج

أأطلب "أنصارا" على الدهر بعدما ثوى منهما في الترب "أوسى" و "خزرجي"

وأجاد الشاعر كذلك في التعزية التي يمزجها بالحكمة، ليخفف وقع المصاب على النفس. والرثاء عند البحتري قليل. ولم يكن الشاعر يندفع إلى الرثاء إلا إذا حركته عاطفة قوية تحمله على القول. فيرثي غلامه وحميد الطوسي وأولاده ، وأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي، وأبي عيسى العلاء بن صاعد.

د - الغزل :

وكان البحتري شاعرا نابغا له قلب متدفق وشعور صادق كان عبيد الحسن والجمال فوقع في فتاة رشيقة "علوة " في مدينة حلب ويذكر حكاية قلبه حديث حبه معها في غزله، ويغرق في حبها ويشرب من ريقها ويتمتع بجمالها ويسقي من عينيها ويتمنى الوصال واللقاء ويتألم من البعد والفراق وهذه كلها يحكيها في صبغة المغازلة والغرام فهو يصور جمال الحبيبة :

بأبي شادن تعلق قلبي بجفون فواتر اللحظ مرضى

لست أنساه باديا من قريب يتثنى تثنى الغصن غضا

ووصف مواقف اللقاء والوداع فهو يقول :

باتت تبردّ من جواى وغلّتى أنفاس طبى طيب الأنفاس

يدنو إلىّ براحه وبريقه فيعلنى بالرّيق بعد الكاس

هيف الجوانح منه خاض جوانحى ونعاس مقتله أطار نعاسي

هذا إلى عواطف كثيرة أخري إنه قد حدث عنها في شعره ، فوصف كيف يُعشق الحبيب مع هجره ودلاله، بل كيف يتفانى المرء في حبيبه، وكيف أن الحبيب في نظر من يحبه أجمل مخلوق يراه، وكيف يتذلل المحب لحبيبه ويستعطفه ، وإن كان هو الجاني المذنب ، وكيف يصبر المحب على ما يلاقيه من عذل ولوم ، لأن المحب يلذه ما يلاقيه في الحب من عذاب ، إلى غير ذلك من عواطف وإحساسات يطول وجه استقصائها ، وكثير من هذه المعاني سبقه بها غيره من الشعراء، ولكن البحتري يدخل عليها من حسن نظمه ما يجعل هذه المعاني المكروهة عذبة محبوبة.

وأكثر البحتري من ذكر طيف الحبيب ، وشهر به شهرة فائقة حتى ضرب به المثل بين الأدباء ، فأصبحوا يقولون : "أرق من طيف البحتري" ، وربما كان السبب في إكثار الشاعر من ذكر الطيف حبه لعلوة ، ثم بعده عنها ومن ذلك قوله :

تدرين كم من زورة مشكورة من زائر وهب الخطير ، وما درى

غاب الوشاة ، فبات يسهل مطلب لو يشهدون طريقه لتوغرا

كان الكرة حظ العيون ، ولم أخل أن القلوب لهن حظ في الكرى

ملخص القول هو أن "غزله عذب جميل ... وأحسن خصائصه في الغزل حسن العتاب وبراعة الوصف وذكر الطيف والخيال".(1)

ه - الوصف :

إن البحتري شاعر يمتاز بالبراعة في الوصف. إنه نشأ نشأة بدوية في أحضان قبيلته واختلف إلى حواضر البيئة الجديدة بما فيها من الحضارة والترف ومظاهر البذخ والعمران فتأثر بها. فشعره الوصفي ، يترجح بين القديم والجديد فنشهد فيه حسية الوصف الجاهلي ونقليته ، دون فوضاه ، كما تلمح وجدانية الوصف العباسي وسببيته ، دون إسرافه بمظاهر البديع.

فالبحتري في وصفه مقلد ومجدد : فهو مقلد في بيان الطبيعة ؛ يعرض الطلل ويخلص منه إلى المدح ، مكررا المعاني والصور والأسماء ، خالعا عليها إيقاعا موسيقيا كثير الشجو يبعث فيها حياة ، بالرغم من هرمها وقدمها. فهو يقدم شعره الطللي :

ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها نعم ونسألها عن بعض أهليها

يا دمنة جاذبتها الريح بهجتها تبيت تنشرها طورا وتطويها

وكذلك إنه يصف الحبيبة مثل القدماء ويصف البرق والمطر ويصف الناقة والأسد والذئب على طريقة القدماء. فالبحتري يبدو خلال هذا الوصف كامرئ القيس وسائر الجاهليين، يقف بالمنزل ويبكي ويحيي ليلى، ذاكرا الريح والمطر، ويعرض أثناء ذلك تذكرة الحب والهوى واللقاء مع الأسد والذئب، فكأنه قائم في الصحراء وليس قائما في بستان الحاضرة العباسية.

ولكن هذا التقليد استطاع البحتري أن يرقى به إلى درجة رفيعة من التفوق والشخصية والأصالة بما أضفاه من فيض روحه الشعري. وهكذا فالوصف عنده حافل بالتشخيص يشتد فيه توثيق الموافقة بين المعاني والألفاظ والأوزان الشعرية. وفي وصفه صور بسيطة واقعية فيها سذاجة بدوية وفيها طرافة ودقة وفيها حركة وقوة إيحاء.

وهو مجدد في وصف العمران أي بيان الحضارة الفخمة ولاسيما القصور والسفن وأيوان كسرى وبركة المتوكل. فوصف البحتري لكل هذه المناظر عن موقف بدائي أمام أعجوبة الحضارة ينظر إليها بعين مندهشة ذاهلة أمام روعة التفنن.

---

(1) تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فرّوخ ص 359

هكذا نجد بأن "البحتري كان شاعر الوصف ، تناول البادية والحاضرة ، سكب فيها من روحه وفنه ، وأخرج مشاهدهما مخرج الذوق السليم ، ولم يعد في تلك المشاهد إلا إلى التفاصيل الطريفة المحسوسة التي كوّن منها لوحات متناسقة ، ولئن قصر في إبتكار المعاني لم يقصر في التصوير والزخرفة الناعمة ولم يقصر في خلق الروعة والمتعة وفي انطلاق أوتار الشعر بأعذب موسيقى وأجمل ألحان".(1)

ملخص البحث هو أن "ليست قيمة شعر البحتري في عمق معانيه وروعة ابتكاره وليست في تسلسل أفكاره وترابط أجزائها وليست في قوة الانطلاق وعنف التدفع أو في عمق التحليل ونفاذ البصيرة ، وليست في تكديس الزخارف وتركيبها بعضها في بعض ، وإنما هي في صفاء لا تحدّ له أجواء ، في صفاء لا يشوبه كدر إغراب أو تعقيد ، ولا تمر في سمائه غمامة ناشزة ، تحمل رعدا أو برقا ، ولا تتقلب على سطحة موجة مزبدة ثائرة وفي عذوبة بداوة ممسوحة بمسحة الحضارة وفي فطرية تنساب إنسيابا وهي بليلة كالقطر ، ناعمة كالنسيم ، معطرة الأردان بسحر البيان ، يلقى عليها الذوق السليم من زخارف الصنعة وألوان البديع، والبحتري يكتب وألفاظه تعنى ، ويخط الحروف وكأنها بمداد من نور وإشراق ، وإذا هنالك إئتلاف بين الطبيعة والصنعة وبين الفطرة والحضارة وبين البادية والمدنية ، وإذ هنالك تناغم بين الصحراء المجدبة والبساتين المونقة ، وبين القفار الموحشة والقصور الآهلة ، وإذا هنالك تمازج بين الشظف والرقة ، وبين المداد وإفتراء الأوتار ، وإذا لكل حرف في اللفظة مناجاة ، ولكل لفظه في العبارة مناغاة ، ولكل عبارة في البيت آيات بينات ، ولكل بيت في القصيدة أنغام ونبرات ، ولكل قصيدة في الديوان حلقات مذهبات ، وإذ أنت في حنة من جنان الفن والروعة".(2)

---

(1) الموجز في الأدب العربي وتاريخه وضع لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية ص 173 (2) نفس المصدر ص 179

الباب الثالث: المشاركة الفكرية والفنية بين الشاعرين:

301 المشاركة الفكرية والفنية في الهيئة الداخلية للشعر

30101 النسيب والغزل
30102 الإباء
30103 النُدرة
30104 التعبير عن الخوالج النفسية الذاتية

302 المشاركة الفكرية والفنية في الهيئة الخارجية للشعر

30201 الموسيقى الشعرية
30102 إنتقاء الكلمات
30103 المشاكلة بين اللفظ والمعنى

المشاركة الفكرية والفنية في الهيئة الداخلية للشعر

كما ذكرت في مدخل البحث بأن الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة. فهو يتكون من الخيال والفكرة والعاطفة والوجدان ؛ فالشعر الرفيع له تأثير عميق في القلوب ويترك أثرا خلابا وراءه يتمتع به السامع أو القارئ ويهتز له أوتار العواطف والمشاعر فيرتجل بـ "والله ما أحسن هذا " فهذا السحر الذي يسيطر الأذهان هو " الموسيقى الشعرية ".

وهذه هي الموسيقى الشعرية التي توجد عند الشاعر العربي النابغ ؛ أبي عبادة البحتري. فإنه يتملك شاعرية أصلية وملكة ثرية العطاء وإستعدادا لم يتوفر عند كثيرين من شباب الشعراء المعاصرين له، لذلك أصدر المتنبي حكما على براعته الشعرية وخلع أبو تمام عليه تاج ولاية عهد إمارة الشعر. وكذا شأن الشاعر الأردي العبقري ؛ مومن خان مومن ، فتوجد عنده هذه الملكة الشعرية اللطيفة والقوة البيانية الساحرة التي تضمنت له مكانة ممتازة بين المعاصرين ودفعت مرزا أسد الله خان غالب ؛ زعيم الشعراء الأرديين إلى الاعتراف بنبوغه في الموسيقي الشعرية المتواجدة في كلامه.

فإذا حللنا أشعار هذين الشاعرين العبقريين ، وعرفنا شخصيتهما وفنونهما الشعرية ، وفكرنا بأنهما كيف عرضا كلامهما بأسلوب سهل رائع بديع قد عجز معاصروهما بإتيان مثله ، وكيف استخدما الألفاظ الجزلة والمعاني اللطيفة ، وكيف عبرا عن الأخيلة النادرة الرفيعة ، وكيف أصبحا شاعرين ممتازين في منهجما الشعري ، وكيف بلغا إلى مكانة رفيعة في السمو الشعري لوجدنا الاشتراك الفكري والفني في كلامهما.

فلذلك يمكن المقارنة بين مومن خان مومن ؛ من شعراء القرن الثالث عشر الهجري في الهند وأبي عبادة البحتري ؛ من شعراء القرن الثالث الهجري في العرب. فإنهما قاما بتحول وانقلاب في المجال الشعري العاطفي والذاتي الغنائي في عصريهما باشتراكهما الفكرية والفنية مع اختلافهما الجنسية واللغوية والثقافية والاجتماعية. والأمر الذي يجعل كليهما شاعرين ممتازين في عصريهما هو العاطفة الشعرية الساحرة والقوة البيانية البارعة تتصف بها أشعارهما إلى حد بالغ. فإنهما رائدان للنسيب والمغازلة في عصريهما وقصب السبق في أيديهما في الموسيقى الشعرية وانتقاء الألفاظ والمشاكلة بين اللفظ والمعنى ، وعندهما قدرة كاملة للتعبير عن العواطف الذاتية ، وشعور دقيق مرهف للاعتزاز بالنفس والأسلوب. وهذه هي بعض النقاط التي اتفق عليها هذان الشاعران. وهنا نقدم هذه النقاط بقدر من الإطناب والتفصيل.

النسيب والغزل : هذا صنف شعري لطيف ودقيق ، له علاقة وثيقة مع الحب والعشق والصبابة والغرام ، فهو حديث القلب وحكاية الحب ، وهو عرض الشعر الأردي ، وخفق قلب الشعر العربي ، وهو أرق من النسيم وألذ من طيف البحتري. ففيه متعة جمال الحبيب ورونق لمعان وجهه وسحرة العيون القاتلة وحمرة الخدود الوردية وعذبة الريق الزلال ووقعة طول القد. وفيه فرح اللقاء والوصال وألم الهجر والفراق، وفيه التذلل في قدم الحبيب وعزة نفس المحب ، وفيه بيان منفعة الحبيب لوفاء غرض المحب ، وفيه قصة الحسن والجمال والحوار مع الغواني الفاتنات ، وفيه بيان حرقة القلب ولوعة الصدر والتقلب بين الفراق والوصال والتردد بين الوفاء والجفاء ، وفيه شوق وشكوى وحرمان وندامة وغيرها من موضوعات الحب والغرام.

وقد أورد البحتري قطعة غزلية في مقدمة القصيدة المدحية وقد ذكرها على حدة ولكن مومن خان مومن قد ذكر الغزل كصنف ممتاز ومنفرد. وكلاهما قدما في غزلهما حديث الحب والصبابة في موضوعات متنوعة مذكورة آنفا. ونجد في غزلهما صبغة المغازلة المعاشقة إلى حد بالغ فإنها يذكران علاقتهما الودية الغرامية العفيفة مع الحبيبة بشعور صادق. فيذكر مومن خان عن تزهد الحبيبة إياه ، وقلق المحب على تدلل الحبيبة المتنوع والحسرة على الإخفاق في أمور الحب. خذ من هذا الشراب الصافي وذق مذاقة الشاعر الهائم :

ہے نگاہِ لطف دشمن پر تو بندہ جائے ہے — یہ ستم اے بے مروت کس سی دیکھا جائے ہے

سامنے بے حب وہ شوخ دلربا آجائي ہے — قیامتا ہون پر یہ دل ہاتھون سے نکلا جائے ہے

حال دل کیونکر کہون مین کس سے بولا جائے ہے — سر الٰہی بالین سے کیا کچھ ہی ہیٹھا جائے ہے

غیر کے ہمراہ وہ آتا ہے مین حیران ہون — کس کے استقبال کو ہی تن سے نکلا جائے ہے

تاب وطاقت صبر وراحت جان وایمان عقل وہوش — ہائے کیا کہئے کہ دل کے ساتھ کیا کیا جائے ہے

وكذلك أورد البحتري أمور الحب مع الحبيبة "علوة " ويشكو منها بأنها زهدت عن المحب ورغبت عن اللقاء معه رافضة رسالة الحب فالشاعر يرد دليلا على وفاءه وحبه :

ردّت على هديـــــة لو أنـــها بعثت إليّ بمثلها لم أردُد

وتقول : إني قد تركت غوايتي فاذهب لشأنكِ راشداً لم تطردِ

نبذت مكاتبتي ، ورد رسائلي وتبدلت مصباحها في المسجدِ

إن كان سفك دمي تغير جناية يا علو منك عبادة فتعبدي

إني لأجحد حبكم وأسرّه والدمع معترف به لم يجحدِ

والدمع يشهد أنني لكِ عاشق والناس قد علموا وإن لم يشهدِ

فلئن رددت رسائلي وشتمتني فلطالما ناديتني : يا سيدي

فسلي فؤادك كيف عاصى بعدما قد كان يتبعني ذليل المقودِ

فكلا من الشاعران قد أوردا في هذه الأبيات تزهد الحبيبة عن المحب واضطراب المحب على تدلل الحبيبة المتنوع بأسلوبهما الخاص. فالبحتري يظهر وفاءه ووده قائلا بأنها ردت هدية الحب ولكنني لن أرد مثلها أبدا ولله در مومن خان حيث قال في نفس المعنى وما أحسنَ :

دونون کا ایک حال ہے یہ مدعا ہو کاش وہ ہی خط اس نے بھیج دیا کیون جواب مین

ثم يرد البحتري دليل على وفائه قائلا بأن الدمع يشهد على عشقي وغرامي العفيف والناس ساكت عنه مخافة بث السر بين الناس. وقد يرد مومن نفس الشيء فيقول :

میری رسوائی سے ان کو خوش نہ ہونا چاہئے قیس رسوا ہما تو کیا لیلی کی رسوائی نہ ہمی

وكذلك يعترف مون خان مومن حبه وغرامه الشديد مع الحبيبة بطريق مؤثر وفيه شكوى وحرقة فيقول :

اثر اس کو ذرا نہین ہوتا رنج راحت فزا نہین ہوتا

بے وفا کہنے کی شکایت ہے تو ہی وعدہ وفا نہین ہوتا

تم ہمارے کسی طرح نہ ہوئے ورنہ دنیا مین کیا نہین ہوتا

تم مرے پاس ہوتے ہو کویا جب کوئی دوسرا نہین ہوتا

دامن اسکا جو ہے دراز تو ہو دست عاشق رسا نہین ہوتا

چارہ دل سوائے صبر نہین سو تمہارے سوا نہین ہوتا

أما البحتري فهو أيضا يذكر غرامه وحبه العفيف مع الحبيبة وفيه شكوى ولوعة فيقول :

لمَ لا ترق لذل عبدك وخضوعه فتفي بوعدك

إني لأسألك القليـ لَ ، وأتقي من سوء ردك

وأما ووصلك بعد هجـ رك ، وإقترابك بعد بعدك

لا لمت نفسي في هوا ك ، ولا انحرفت لطول صدك

لئن أسأت كما تســـــ ئ ، لما وددتك حق ودك

وكذلك يصف مومن خان جمال من يحب ، والحبيبة في غزله خجلاء ولها صوت رخيم مؤثر فيقول :

آنكهون ســـے حيا ٹپكـــے هـــے انداز تو ديكهو هـــے بوالهوسون پر ستم ناز تو ديكهو

چشمك مری وحشت په هـــــے كيا حضرت ناصح طرز نگه چشم فسون ساز تو ديكهو

مجلس مين مرـــے ذكر كـــے آتـــے هی وه اٹهـــے بدنامئ عشاق كا اعزاز تو ديكهو

اس غيرت ناهيد كی هر تان هـــــے ديپك شعله سا ليك جائـــے هـــــے آواز تو ديكهو

دين پاكئ دامن كی گواهی مرـــــے آنسو اس يوسف بيداد كا اعجاز تو ديكهو

وأما البحتري فهو يصف جمال من يحب من ناحيته فإنه يختلف العيار باختلاف الأذواق، والحبيبة في قطعته الغزلية بيضاء مرهفة القد وردية الخد وساحرة العين فهو يقول :

أخفي هوى لك في الضلوع أظهر وألام في كمد عليك ، وأعذر

وأراك خنت على النوى من لم يخن عهد النوى ، وهجرت من لم يهجر

وطلبت منك مؤدة لم أعطها إن المعنى طالب لا يظفر

بيضاء يعطيك القضيب قوامها ويريك عينيها الغزال الأحور

تمشي ، فتحكم في القلوب بدلها وتميس في ظل الشباب وتخطر

ليشوقني سحر العيون المجتلى ويروقني ورد الخدود الأحمر

ويذكر مومن خان جفاء الحبيبة وطبيعتها المتلونة فيقول :

كسی كا هوا آج كل تما كسی كا نه هـــــے تو كسی كا نه هوگا كسی كا

كيا اُس نـــــے قتلِ جهان اك نظر مين كسی نه ديكها تماشا كسی كا

جو پهر جائـــے اس بـــــے وفا ســـــے تو جانون كه دل پر نهين زور چلتا كسی كا

وه كرتـــــے هين بـــــے باك عاشق كُشی كو نهين كوئی دنيا مين كويا كسی كا

وكذلك البحتري يذكر جفاء الحبيبة وكرقها المتنوعة فيقول :

لي حبيب قد لجّ في الهجر جداً وأعاد الصدود منه وأبدا

ذو فنون يريك في كل يوم خلفا من جفـــــــائه مستجدا

يتأبى منعما ، وينعم إسعا فا ، ويدنو وصلا ويبعد صدا

ويذكر مومن خان في غزله عن الأيام السالفة التي كان فيها الحب والغرام فيما بينهما فهو يقول :

وہ جو ہم مین تم قرار تھا تمھین یاد ہو کہ نہ یاد ہو وہی یعنی وعدہ نباہ کا تمھین یاد ہو کہ نہ یاد ہو

وہ نئے گلے وہ شکایتین وہ مزے مزے کی حکایتین وہ ہر ایک بات پر روٹھنا تمھین یاد ہو کہ نہ یاد ہو

کبھی ہم مین تم مین بھی چاہ تھی کبھی ہم سے تم سے بھی راہ تھی کبھی ہم بھی تم سے تھے آشنا تمھین یاد ہو کہ نہ یاد ہو

سنو ذکر ہے کئی سال کا کہ کیا اک آپ نے وعدہ تھا سو نباہ کا تو ذکر کیا تمھین یاد ہو کہ نہ یاد ہو

جسے آپ گنتے تھے آشنا جسے آپ کہتے تھے با وفا مین وہی ہون مومن با وفا تمھین یاد ہو کہ نہ یاد ہو

وكذلك يذكر البحتري الأيام السالفة حين كانا بينهما الحب والغرام فيقول :

مني وصل ، ومنك هجر وفي ذل ، وفيك كبر

وما سواء إذا التـقينـــــا سهل على خلة ووعر

قد كنت حرا وأنت عبد فصرت عبدا وأنت حر

تذكر كم ليلة لهونا في ظلها والزمان نضر

غاب دجاها وأي ليل يدجو علينا وأنت بدر

تمزج لي ريقة بخمر كلا الرضابين منك خمر

فنجد المشاركة الفكرية في هذه الأشعار المذكورة من ناحية الموضوع والآن نقدم من بعض الأشعار ونقارنها شعرا بشعر فعلى سبيل المثال :

يقول مومن خان مومن :

ترے فراق مین آرام ایک آن نہین یہ ہم سمجھ چکے کر تو نہین تو جان نہین

فيقول البحتري على غراره :

وما أعطى القرار وقد تناءت وهذا الحب يمنعني قراري

يقول مومن خان مومن :

ياتے تھے جبن کب غم دوری سے گھر مین هم　　راحت وطن کی یاد کرین سفر مین هم

فيقول البحتري على غراره :

عشية لا الفراق أفاء عزمي　　إليّ ولا اللقاء شفى غليلي

يقول مومن خان مومن :

اُس نقش پا کے سجد سے نے کیا کیا ذلیل　　مین کوچۂ رقیب مین سر کے بل گیا

فيقول البحتري على غراره :

لو لا الهوى ما ذل في الأرض عاشق　　و لكن عزيز العاشقين ذليل

يقول مومن خان مومن :

هے دوستی تو جانب دشمن نه دیکهنا　　جادو بهرا هوا هے تمهاری نگاه مین

فيقول البحتري على غراره :

أنا من إذا ستر الهوى خوف العدا　　فضحته مقلته لدى الجلاس

يقول مومن خان مومن :

ناوک انداز جدهر دیدۂ جانان هونگے　　نیم بسمل کئی هونگے کئی بے جان هونگے

فيقول البحتري على غراره :

يرمي فما يشوي ويقلل من رمى　　بسهام لا هدف ولا برجاس

يقول مومن خان مومن :

دیکها ادهر کو تو نے که بس دم نکل گیا　　اترے نظر سے اپنی نکهانیون مین هم

فيقول البحتري على غراره :

غانية لم أغن عن حبها　　يقتل في أجفانها السحر

يقول مومن خان مومن :

لذتِ جور کشی نے مجهے شرمنده کیا　　طعنے کیا کیا اُسے ارباب ستم دیتے هین

فيقول البحتري على غراره :

عزيري فيك من لاح إذا ما　　شكوت الحب حرّقني ملاما

ألام على هواك وليس عدلا　　إذا أحببت مثلك أن ألاما

يقول مومن خان مومن :

مانگا کرین گے دعا اب سے ہجر یار کی　　آخر تو دشمنی ہے دعا کو اثر کے ساتھ

فيقول البحتري على غراره :

أصبح لا أطمع في وصلها　　حسبي أن يبقى لي الهجر

وربما جاد بما يرتجى　　وبعض ما لا يرتجى الدهر

يقول مومن خان مومن :

ہائے رے چھیڑ اس نے سن سن کے　　حال میرا کہا کہ کیا صاحب

فيقول البحتري على غراره :

أسهرته حتى إذا هجر الكرى　　خلت عنه ونمت عن إسهاده

يقول مومن خان مومن :

تمے وعدہ سے پھر آنے کے خوش یہ خبر نہ تھی　　ہے اپنی زندگانی اس بے وفا کے ساتھ

فيقول البحتري على غراره :

أتراها دامت على العهد أم من　　عادة الغانيات نقض العهود

يقول مومن خان مومن :

زندگی ہجر مین اک موت تھی　　مرگ نے کیا کار مسیحا کیا

فيقول البحتري على غراره :

الموت يا مالكي خير وأروح لي　　من أن أعيش حليف الهم والسهد

يقول مومن خان مومن :

کیا سناتے ہو کہ ہے ہجر مین جینا مشکل　　ہم سے بے رحم پہ مرنے سے تو اچھا ہو کا

فيقول البحتري على غراره :

فلا تسألا عن هجرها ، إن هجرها جنى الصبر يسقى مرّه من جنى الشهد

فإذا تتبعنا هذه الأشعار وجدنا أن هذين الشاعرين بارعان في بيان حكاية القلب وحديث الحب. إنهما قاما باعتناء كامل بالمغازلة والمعاشقة في غزلهما ولو أن مومن خان تفنن في غزله وبرع بخيال رائع متنوع ولكن من حيث المجموع إنهما قدما في غزلهما روح العشق العفيف والحب العذري الطاهر وحدد غزلهما في حدوده ولم يطرقا فيه أبواب الفلسفة والتصوف والمنطق والأخلاق بل نهجا على طريق جديد في الغزل وأدخلا في الغزل الرقة والسلاسة من حيث المعنى والأسلوب.

الإباء : إن هذين الشاعرين العبقريين لهما نفس أبية وشعور وقاد يفتخـــران بأعمالـــهم ويعـــتزان بأسلوبهم. أما البحتري فقد ذكر عنه الدكتور طه حسين في كتابه "من حديث الشعر والنثر" قائلا : "كان علـــى هذا شديد الإعجاب بنفسه ، مفتونا بها فتنة لا تعرف، حتى كان إذا أنشد شعرا بين يدي الخلفاء ، أنشـــد فـــي شيء من التيه والإعجاب ..."(1) وكذلك ذكر مومن خان بنفسه في رسالة : "... ملخص القول هو أنني أنشد وأتغنى بحيث لا يماثله البلبل وأتزين (كلامي) بالدرر واللآلي ..."(2)

فيتضح من هذا القول بأن يعتزان اعتزازا كثيرا بالنفس والأسلوب. وهنا نقدم أشعارهما تصدق هـــذا القـــول.

فكان مون خان يحضر باب الوزير نواب حامد علي بهذا الشأن ويقول :

مومن آيا هـــــے بزم مين تيرى صحبت آدمى مبارك هو

ويعتمد البحتري إلى العجب بنفسه عند الملوك فكان يقول مخاطبا إلى الناس : "ما لكـــم لا تستحســـنون؟ ولا تقولون أحسنت وأجدت "(3)

أما مومن خان فهو يفتخر بنفسه ويعجب به إعجابا شديدا فهو يقول :

مين روشن دان حكم برجيش هين ادا فهم سير كيوان

هون وه فياض جس كـــــے ناخن مين حركات عروق شريان

سامنـــے ميرى تر زبان كـــــے نطق الكن حديث سحبان

ميرـــــــے گوهر تمام نا سفته ميرـــــــے ياقوت سب بدخشان

ويفتخر البحتري على نفسه ويعجب به إعجابا شديدا فيقول :

أنا البحتري من البحاترة الألا هو عزوا الأيام بالنائل الفخر

أنا الذي أوضحت غير مدافع نهج القوافي وهي رسم دارس

شهرت في شرقي البلاد وغربها فكأنني في كل ناد جالس

إذا تعاظمني أمر ففزعت إلى شعري ووجهت إجمالي وأفراسي

---

(1) من حديث الشعر والنثر لطه حسين ص 115 (2) رسالة مومن رقمها 16 ترجمها ظهير أحمد الصديقي من الفارسية (3) مـــن حديث الشعر والنثر لطه حسين ص 116

يذكر مومن خان من ميزاته الشخصية وقدرته في الشعر ومدى تأثيره في الناس فيقول :

شاعرِ بےنظیر ہون سحر بیان دبیر ہون — دم ہے مرا نمونۂ معجزہ پیمبری

سحر حلال ہے مرے جادۂ سامری خجل — طورِ کلیم اوج فکر نورِ خدا فسون گری

کفرِ حکایت غرور اس کے بغیر محال ہے — تا متنبی وجریر عار ہے مجھ کو ہم سری

وكذلك يذكر البحتري محاسن شعره وقبوله بين الناس فيقول :

إن شعري سار في كل بلده — و إشتهى رقتــــه كل أحـــده

قلت شعرا في الغواني حسنا — ترك الشعر ســـواه قد كـــــسد

أهل "فرغانه" قد عنوا بـــــه — وقرى "السوس" و"ألطا" وسنـــد

وقرى "طنجة" و"السد" الذي — بمغيب الشمس شعري قد ورد

ويفتخر مومن خان شعره فيقول :

فنون نظم مین نے نکالی ایسی راہ — طریقۂ شعراء سلف ہوا مطموس

مین وہ سرمایہ بلاغت ہون — جس کا کدا ہے خاقانی

انوری کے بیان مین ہے کہان — میری تقریر کی سی تابانی

ملک معنی کا شہر یار کہے — دیکھ خسرو مری قلم رانی

مرے ربط کلام کو ہونچے — نثر سعدی نہ نظم سلمانی

يفتخر البحتري بشعره فيقول :

أهز بالشعر أقواما ذوي وسن — في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا

عليّ نحت القوافي من مقاطعها — وما على ّ إذا لم تفهم البقـــــر

إذا قلت شعرا فالنجوم رواته — ومن ذا رأى الشعرى روت لإمرى شعرا

وما أنا ممن يركب الشعر قدره — ولكن قدري يركب الشعر والشعرى

وهذه الأشعار وغيرها تدل على أن هذين الشاعرين نهجا على طريق واحد في مجال الفخر الإبـــاء الذاتـــي والإعتزاز بالنفس والأسلوب. فانهما قدما كلامهما بكل فخر وعجاب. وإنهما أوردا في كلامهما مدى التـــأثير في قلوب الناس وقبوله بين العامة. وهما على هذه الشاكلة يشتركان في هذا المجال.

الندرة : خلال دراسة ديوانهما وجدنا بأن الابتكارات الفكرية وندرة الخيال تحتل نطاقا واسعا في كلامهما. أما مومن خان مومن فهو يصف حبه العميق بطريق نادر واستخدم فيه خيالا رائعا بديعا فهو يقول:

تم مرے پاس ہوتے ہو کویا جب کوئی دوسرا نہیں ہوتا

فإنه نفخ روح الحب العذري في هذا الشعر. ويذكر حكاية الحب بطريق نادر واستخدم فيه الخيال الرائع فيقول : "يا حبيبتي حينما أنعزل عن الناس فأجد كأنكِ في مثواي قلبي وأعماق صدري. فإنه وصف حبه بأسلوب حي وبابتكار موحي.

كذلك هذا الشعر الذي قد جاء مومن فيه بخيال نادر :

مانگا کرینگے دعا اب سے ہجر یار کی آخر تو دشمنی ہے دعا کو اثر کے ساتھ

فقد ذكر مومن في هذا الشعر خيالا نادرا قائلا : بأنني دعوت الله دائما لوصال الحبيبة واللقاء معها ولكنني حتى الآن أتذوق ألم الفراق والهجر فعزمت الآن على أن أدعوه لفراق الحبيبة لأن بين الدعاء والقبول عداوة فإذا بدأت أدعو الله للفراق والبعد من الحبيبة فيمكن لي من أن أتمتع بوصال الحبيبة.

كذا شأن البحتري فهو يمدح الممدوح بحيث لا يأتي به معاصروه فهو يمدح المتوكل بطريق نادر واستخدم فيه خيالا رائعا بديعا ومبالغة مستحسنة فيقول :

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لمشى إليه المنبر

فإنه نفخ في هذا الشعر حيوية إذ وصف مكانة الخليفة وشعبيته عند الجميع سواء يدب أولم يتحرك على هذه الأرض حتى أن الخليفة إذا توجه إلى المنبر للصلوة ففزع المنبر بهذا الأمر لأن الخليفة أحق من يذهب إليه الناس ولكن هذا من فاجعة المنبر بأنه لم يستطع أن يمشي ويتحرك فلو أنه يستطيع المشي ليهرول إلى الخليفة. فإنه مدح الخليفة بطريقة نادرة. ولعله اقتبس الفكرة عما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان المنبر يبكي حينما أستبدل وكان من جذر النخلة (الحديث المشهور).

وكذلك من فاخر الشعر للبحتري وشريفه مدحه لفتح بن خاقان - وزير المتوكل - ووصفه فهو يقول :

دنوت تواضعا وعلوت قدراً فشأنك إنحدار وإرتفاع

كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

وعلى نفس الدرب يمد البحتري خطاه فيمدح إسماعيل بن نوبخت فيقول :

دان إلى أيدي العفاة وشاشع عن كل ندٍ في العلا وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

فقدم البحتري في هذه الأشعار تمثيلا رائعا بديعا للتشبيه.

أما مومن خان فأنه يستخدم تشبيها نادرا رائعا فيقول :

کیا کیا شکن دیے ہین دل زار کو مگر اس کے خیال مین ورق انتخاب تھا

ایک ہی جلوہ مہرو مین ہوے سو ٹکڑ ے جامہ صبر جسے کہتے ہین کتان ہو گا

خط بیاض صبح وہ شعلہ دم ازدود سپید عکس سے جس کے آب آب آئینہ سکندری

ہر بار کیون نہ ہو تری تلوار تیز تیز دشمن کی ہے قساوت قلبی فسان تیغ

ففي أمثال هذه الأشعار أتت الندرة من حيث هي هي أما الفكرة فإنها تختلف من شاعر لآخر. إنما جاء مومن خان بتشبيهات نادرة لم توجد عند الشعراء الآخرين. هكذا نجد بأن هذين الشاعرين يذكران الندرة في كلامهما من حيث الفكرة والخيال ومن حيث البيان والأسلوب. واشتركا كلا الشاعرين من هذه النواحي.

التعبير عن الخوالج النفسية الذاتية : كما ذكرت في مدخل البحث بأن مومن خان مومن وأبي عبادة البحتري كليهما شاعران غنائيان يعبران عن الخوالج النفسية الذاتية إلى حد بالغ. أما مومن خان مومن فهو يقدم في أصناف شعره من غزل ومثنوية ورثاء وقصيدة ، عواطفه الودية الذاتية فيذكر حبه ووفائه ، فرحه وآلامه ، حسرته وندامته وكل ما يتصل بالشعور والعاطفة والوجدان ولم يطرق الأبواب الأخرى من الفلسفة والمنطق والأخلاق. فأعماله الشعرية تتلون بلون التعبير الذاتي، هنا نقدم بعض من الأشعار التي يعبر فيها عن شؤونها الذاتية.

كان مومن خان قد نشأ على حب وغرام إذ وقع في حب حوريات أرضية مختلفة ولم يذكر إسم الغواني العشيقات إلا حبيبة واحدة وهي "أمة الفاطمة المتلقبة بـ صاحب جي" في مثنويته. فشرب كأس الحب من حسنها وجمالها ولم ينعزل عن الناس إلا وهي تسكن في مثواي قلبه وسرت في أحشائه وأعماق صدره ولا يستقر له القرار بدونها فهو يقول :

مجھے ہونجا دو میرے صاحب تک کہ غلام گریز پا ہون مین

وهو لا يتحمل مشقة الفراق ولا أن يراها في قلق واضطراب فإذا وجدها سألها :

تم ہی رہنے لگے خفا صاحب کہین سایہ مرا پڑا صاحب

کیون الجھتے ہو جنبش لب پے غیر ہے مین نے کیا کیا صاحب

ہے یہ بندہ ہی بے وفا صاحب غیر اور تم ہلے بھلا صاحب

وهي إذا غضبت على أي أحد فانه يظن هذا الغضب عليه لشدة حبه ووفائه.

کس بہ بگڑے تمے کس پہ غصہ تمے رات تم کس پہ تمے خفا صاحب

کس کو دیتے تمے گالیان لاکھون کس شب ذکر خیر تما صاحب

ولكن أكثر ما نال من حظه ونصيبه كان الحرمان والندامة والحرقة والفراق. فذهبت عشيقته "صاحب جي تاركة محبها "مومن" ورائها فأصبح حرا طليقا من قيود العبودية :(1)

صاحب نے اس غلام کو آزاد کر دیا لو بندگی کہ چھوٹ گئے بندگی سے ہم

---

(1) ولكن البحث والتحليل حقق بأن مومن لم يقع في حب مثل هذه الغانية فالواقعة لم تحدث في الواقع.

وقد شرب هذا العاشق الهائم الحب كأسا بعد كأس ولكنه لم يزدد إلا هياما ولم يحدث إلا ودادا ولـــم ينـــل إلا الإخفاق في شؤونه الودية بل تحمل المصائب والآلام بكل صبر وأناة ولكن إلى متى يكون هذا الصبر وإلـــى متى تكون هذه المشقة :

کہاں تک دم بخود رہئے نہ ہوں کیجے نہ ہاں کیجے — کہاں تک کہائیے غم کب تلک ضبط فغاں کیجے

عدو سے وہم سے تکتا ہوں بزم عیش میں ہر سو — نہیں ہے اور کچھ یوں آپ جو چاہیں گماں کیجے

کہیں تو کیا کہیں اور بن کہے کیونکر دوا ہوئے — بڑی مشکل پڑی ہے کیا چارۂ درد نہاں کیجے

رکھے سے ہاتھ سینے پر ہلا کب مانتا ہے دل — نہ جبتک روئیے دو چار آہِ خونچکاں کیجے

گلا ہم کاٹ لیں کے آپ تیغ رشک سے اپنا — عدو کو قتل کیجے پھر ہمارا امتحان کیجے

ونعم ما قال مرزا غالب في نفس المعنى :

آتا ہے میرے قتل کو پر جوش رشک سے — مرتا ہوں اسکے ہاتھ میں تلوار دیکھ کر

وقد أرسل مومن رسالة الحب والغرام إلى حبيبتها ويغريها على الوفاء معه وأن لا تنظر إلى الحساد والوشاة الذين يلومون على حبهما سيكون هذا خير لهما :

اچھی ہے وفا بچھ سے جلتے ہیں جلیں دشمن — تم آج ہُوا سمجھو جو روزِ جزا ہوتا

ولكن الحبيبة ردّت رسالته ونبذت مكاتبته كأنها ألت حلفة لم تحلل فقالت : أنت وطريقك. فـــاعتبر شاعرنـــا الهائم هذه الحادثة الفاجعة كالتشاؤم والقنوط يتقاطر من كأسه الشعري :

نہ ربط اس سے نہ یاری آسمان سے — جفا پر عدو لاؤں کہاں سے

یہ حالت ہے تو کیا حاصل بیاں سے — کہوں کچھ اور کچھ نکلے زباں سے

هكذا يئس مومن خان الحب والهوى من تلقاء الحبيبة ولأنه هذا لا ينفعه شيئا ولا يجدي نفعـــا ســـوى القلـــق والاضطراب المتزايد كل حين :

اس بخت پہ کوشش سے تمکنے کے سوا حاصل — کر چارہ غم کرتا رنج اور سوا ہوتا

اچھی مری بدنامی یا تھی مری رسوائی — کر چھوڑ نہ دیتا میں پامال جفا ہرتا

ظل شاعرنا كئيبا هائما يحتال أنه جسد بلا روح ويا للأسف زارته حبيبه الآن نادمة على ما فعلت في الأيام السالفة فيا حسرتاه ووا أسفاه !

وہ آئے ہیں پشیمان لاش پر اب تجھے اے زندگی لاؤں کہاں سے

خلال دراسة هذه الأشعار التي قالها مومن بمناسبات مختلفة ، وجدنا بأنه قد عبر عن إحساسه العميق وشعوره الذاتي الذي يحرك العاطفة والوجدان.

كذا نجد هذا الشأن عند أبي عبادة البحتري فهو يظهر في غزله كالعاشق الهائم والمحب الصادق. وقع في حب حورية أرضية وغانية رشيقة تدعى "علوة " خلال سفره إلى حلب. إنها نظرت بعينيها القاتلة وأسهمت رماها فأصبح قلب البحتري مجروحا ومتقطعا ولكنه وجد فيه متعة ولذة :

ليشوقني سحر العيون المجتلى ويروقني ورد الخدود الأحمر

وجعل يمدحها ويصف حسنها وجمالها ويراها أعطيت من الجمال ما لم يعطه أحد :

أعطيت بسطة على الناس حتى هي صنف في الحسن والناس صنف

إعتدال يميل منه إنخناث وتثنّ فيه الفخامة لطف

بل يرى الحبيبة أجمل ما في العالم :

وأراك أحسن من أراه وإن بدا منك الصدود ، وبان وصلك أجمع

ولكن لما حان وقت الوداع فانه ينظر إلى حبيبتها العشيقة باكيا منتحبا تزرف الدموع من عينيه ويظهر حبه وغرامه :

أكنت معنفي يوم الرحيل وقد لجّت دموع في الهمول

عشية لا الفراق أفاء عزمي إليّ ، ولا اللقاء شفى غليلى

دنت عند الوداع لوشك بعد دنوالشمس تجنح للأصيل

وصدّت ، لا الوصال لها بقصد ولا الإسعاف منها بالمخيل

تليم إساءة وألام حبا وبعض اللوم يغري بالخليل (1)

---

(1) ديوان البحتري الجزء الرابع

وغادر البحتري حاب ولكنه يتذكر صاحبة الحلب ويؤكد اتجاه قلبه الدائم إليها ويرجو من حبيبتها الحب والصبابة ويذكر أمامها حرقته ولوعته ويبلغ إليها سلامة وهدية قلبه الهائم :

أعيدي في نظرة مستثيب توخى الأجر ، أو كره الأثاما

ترى كبدا محرقة ، وعينا مؤرقة ، وقلبا مستهاما

تناءت دار "علوة" بعد قرب فهل ركب يبلغها السلاما

وقد علمت بأني لم أضيع لها عهدا ، ولم أخفر ذماما

لئن أضحت محلتنا عراقا مشرقة وحلتها شاما

فلم أحدث لها إلا ودادا ولم أزدد بها إلا غراما(1)

كما هو المعلوم أن الشوق دائما يجري مجرى المخافة والظنون وقليلا من الرجاء ، طار نفس خالجة على البحتري فيقول :

قد خفت الا آراكم آخر الأبد وأن أموت بهذا الشوق والكمد

يا "علو" يا زينة الدنيا وبهجتها أنضجت قلبي واليست الهوى كبدي

ولنعم ما قال مير تقي مير في هذا الباب :

اس کے ایفائے عہد تک نہ جیئے موت نے ہم سے بے وفائی کی

ولكن حينما أرسل البحتري رسالة الحب إليها إنها ردّت رسالته ونبذت مكاتبته واختارت لها قرينا فيقول :

أجد الغواني لا تزال تكيدنا بأخلاف وعد أو بنجح وعيد

فالآن إنه لا يبالي بالفراق ولا يضطرب في النأي عن حبيبتها لأنه تذوق فرح اللقاء والوصال وألم الفراق والهجر كثيرا فتعود بهذا :

خلطت هجرة بوصل ، ففي القر ب بعاد ، وفي الوصال صدود

ولنعم ما قال مرزا غالب في هذا الباب :

فراق وصل جداگانه لذتے دارد هزار بار برو صد هزار بار بيا

(1) ديوان البحتري الجزء الرابع

بل هذا الفراق قد أذكى حرقة الحب ولوعة الصدر :

لقد أزكى فراقك نار وجدي وعرّف بين عيني والسهاد

فهذان الشاعران قد عبرا في هذه الأشعار عن العواطف الذاتية ؛ بأنهما كيف وقعا في الحب والعشق والغرام وكيف اضطربا في ألم الفراق والهجر وكيف خدعتهما الحبيبة وكيف ندمت في ما فعلت في الأيـــام الســالفة وكيف وكيف. فانهما برزا في كلامهما كشاعرين ذاتيين غنائيين. وبهذه الشاكلة إنهما إشتركـــا فـــي المجـــال الفكري والفني.

المشاركة الفكرية والفنية في الهيئة الخارجية للشعر

الموسيقي الشعرية : إذا تتبعنا أشعارهما من ناحية الموسيقى الشعرية وجدنا أن كلامهما يتصف بالجزالة والنغمة الموسيقية. أما مومن خان فهو يمتاز بالدماثة الموسيقية السلاسة التعبيرية والسهل الممتنع في كلامه.(1) ولذلك نجد في غزل مومن لون الموسيقى الشعرية العذبة. ونقدم بعض أشعاره تبدو منها هذه النغمة والموسيقى.

دیده حیران نے تماشا کیا دیر تلک وہ مجھے دیکھا کیا
آنکھ نہ لگنے کی احباب نے آنکھ کے لگ جانے کا چرچا کیا
زندگی ہجر مین اک موت ہے موت نے کیا کار مسیحا کیا
ہین اسیر اُس کے جو ہے اپنا اسیر ہم نہ سمجھے صید کیا صیاد کیا
کیا کرون اللہ سب ہین بے اثر ولولہ کیا ، نالہ کیا ، فریاد کیا

إذا درسنا هذه الأشعار وجدنا فيها اللطافة والسهولة والسلاسة التعبيرية وليست فيها المعاني النادرة ولا أي خيال رائع بديع يجدر بالذكر. وكذلك نجد في بعض الأشعار من قصيدته هذه النغمة والموسيقى والسلاسة التعبيرية على سبيل المثال :

یاد ایام عشرت فانی نہ وہ ہم ہین نہ وہ تن آسانی
جائین وحشت مین سوئے صحرا کیون کم نہین ابنے گھر کی ویرانی
مین روشن دان حکم برجیش مین ادا فہم سیر کیوانی
جانِ مومن بر گونہ گونہ ستم کافر اتنی بھی نا مسلمانی
اس کے عہد کرم کی نسبت سے بُرہ کتنی عمر عالم فانی
بے سخاوت اسے قرار کہان کہ ہے عادت طبیعت ثانی
شوخیٔ یار کی سی بجالاکی نگۂ شوق کی سی جولانی

---

(1) مومن خان مومن كا فن سخنوري لسيد محمود الرضا هاشمي ص 124.

روز جنگ اس کے نیم جولان مین　　صر صر عاد کی سی طغیان

اقعی رمح دیکھ لے اس کا　　تو عصا ہول جائے ثعبان

مومن اب ختم کر دعا یہ سخن　　تا کجا لا فیها ئے طولان

فإذا درسنا هذه الأشعار وجدنا فيها الصياغة الجزلة والدماثة الموسيقية والسلاسة التعبيرية.

وقد سار البحتري على نفس الطريقة فإنه بارع في هذا المجال ومن أصدق قول قاله الآمدي عن شعر البحتري : "إنه صحيح السبك ، حسن الديباجة ليس فيه سفساف ولا ردي ومطروح" وأضاف قائلا : "إنه يؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق.." فكان البحتري من أظهر الشعراء الذين احتفظوا بجمال العبارة وانتقاء الألفاظ الجزلة السلاسة التعبيرية ولذلك ختم به صاحب الأغاني الشعراء.

فجمال الشعر عند البحتري لا يستقر في وعاء فلسفي أو ثقافي إنما يستقر في المادة والجسم وما به من سبك وخفة ورشاقة. وإلى ذلك أشار عبد القاهر الجرجاني إذ يقول : "إعمد إلى قول البحتري :

بلونا ضرائب من قد نرى　　فما إن رأينا لفتح ضريبا

هو المرء أبدت له الحادثا　　ت عزما وشيكا ورأيا صليبا

تنقل في خلقي سؤدد　　سماحا مرجى وبأسا مهيبا

فكالسيف إن جئته صارخا　　وكالبحر إن جئته مستثيبا

فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك فعد فانظر في السبب واستقص في النظر، فانك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر وعرّف ونكّر وحذف وأضمر وأعاد وكرّر وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو، فأصاب في ذلك كله. ثم لطف مواضع صوابه وأتى مأتى يوجب التفضيلية"(1)

وهنا نقدم بعض الأشعار من قصيدة يقول عنها الدكتور طه حسين : "... فسترون فيها شيئا جديدا وهو متانة اللفظ إلى جانب الجمال الفني وستجدون جزالة ومتانة ؛ وهي أولا تأتى من هذه القافية فقد اختار الضاد وهي أضخم حرف في اللغة العربية ... وإذا التمسنا المعاني التي نلتمسها عند أبي تمام فلم نجد شيئا بذكر"(2) والقصيدة هي :

---

(1) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص 65 نقلا عن الفن ومذاهبه لشوقي ضيف ص 79 (2) من حديث الشعر والنثر لطه حسين ص 121 - 122.

أيها العاتب الذي ليس يرضى نم هنيئا فلست أطعم غمضا

إن لي من هواك وجدا قد إستهـ لك نومي ، ومضجعا قد أقضا

فجفوني في عبرة ليس ترقأ وفؤادي في لوعة ما تقضى

بان شادن تعلق قلبي بجفون فواتـــــر اللحظ مرهى

وإعتلاقي تفاح خدية تقبيـــــ لا ولثما طورا وشمّا و عضا

وأضاف الدكتور طه حسين قائلا : "... جاء هذا الجمال من أمرين ظاهرين أولهما هذه المتانة التي اســتطاع البحتري أن يجعلها في الألفاظ ... والمصدر الثاني لهذا الجمال ما عني به البحتري بنوع من أنواع البديع هو المقابلة بين نوم الحبيب وبين سهده "(1) فالحقيقة هي أن البحتري يعتني اعتنـــاء كـــاملا بموســيقى التعبـــير وسلاسة الديباجة ودقة الصياغة مما دفع النقاد إلى تشبيه شعره "بسلاسل الذهب" لعذوبته وجماله. هكذا نجـــد بأن هذين الشاعرين يشتركان في كلامهما من هذه الناحية.

---

(1) من حديث الشعر والنثر لطه حسين ص 121 - 122.

انتقاء الكلمات : لانتقاء الكلمات هناك دور عظيم في تجميل الشعر ورفع مكانته أما السؤال ، مـــا هو انتقاء الكلمات ؟ فبكلمة وجيزة نقول ردا عليه أنه فن نسيج الشعر فالشاعر ينتخب من حدة كلمات متساوية المعنى ما نسميه بـــ "المترادفات" ولكن الحق – لكل كلمة – نزعة وإيقاع ليس لغيرها. نجد مثلا عدة كلمات في معنى الحزن ولكن ينتقى الشاعر كلمة خاصة تاركا وراءه المترادفات الكثيرة لأن المخالج النفسية التـــي يريد الشاعر تعبيرها لا يمكن إلا بتلك الكلمة يقول إمرؤ القيس :

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بري القرنفل

انظر إنه استخدم كلمة "تضوع" في معنى "فاح" و"تفتح" و"عبر" وإلى غير ذلك في نفس المعنى وكان له مـــن الإمكانية أن يقول : "تفتح المسك" أو "تفوح المسك" أو كلمة أخرى بدون فساد الوزن ولكن كلمة "تضوع" يوفر بمعاني لا يسع غيرها. وهذا يعتمد على الذوق السليم والشاعر أحق به في شعره. ربما يفسد التعبير من حيث السهولة والسلاسة باستخدام الكلمة لا يلائم المكان، كما نجد في القرآن الكريم كلمة "فلك" و"السفينة" كلاهمـــا تستخدمان في نفس المعنى وعلى السواء من حيث البلاغة ولكن أنظر دور الانتقاء في الآية الكريمة الآتية : الأولى : "أما السفينة فكان وراءه ملك يأخذ كل سفينة غضبا " (الأية) الثانية : "إذ أبق إلى الفلك المشحـــون " (الأية)

الآن ضع كلمة "فلك" في الآية الأولى مكان "السفينة" وبالعكس لتجد حتما أن العبارة قد فسدت وفقدت سلاستها المعجزة هذا هو دور انتقاء الكلمات.

أما شاعرنا مومن خان مومن وكذا البحتري فقد بلغا إلى ذروة الحس واللطافة في هذا المجال ولعلـــه أبـــرز مثال لمثل هذا الاستخدام ما قاله مومن خان مون :

تم مرـــــے باس ہوتـــے ہو کویا جب کوئی دوسرا نہیں ہوتا

يعني "حينما أنعزل عن الناس فأجد كأنكِ في مثواي قلبي وأعماق صدري". فلا يمكن لأحد مـــن أن يســـتبدل كلمة "كويا" بكلمة أخرى مع الصيانة والحفاظ على الروعة الشعرية والقيمة الفنية.

ولنعم ما قال مومن هذا الشعر :

کیا روؤن خیرہ چشمیٔ بخت سیاہ پر　　وان شغل سرمہ ھے الٰہی یان نیل ڈھل گیا

يعني "إن الحبيب يزين حسنه وجماله بكحل عينيه والمحب يموت بهذا الكمد بأن عيناه قد حدقت من لمعان حسن الحبيب" فالشاعر قد استخدم كلمة "نيل" بمعناه "حدقة العين" ولا يمكن استخدام كلمة أخرى "حلقه" مكان هذه الكلمة مع بقاء هذه الروعة الشعرية.

وكذلك إنه استخدم لقبه في الشعر بحيث يخلق الجمال والروعة الفنية على سبيل المثال :

لے نام آرزو کا تو دل کو نکال لین　　مومن نہ ہون جو ربط رکھین بدعتی سے ہم

فذكر الشاعر كلمة "مومن " وهذا لقبه وله معنى خاص ضد البدعة فلو نستبدل كلمة "مومن " بكلمة أخرى أي "مسلم" لم يبق الروعة والجمال الفني للشعر.

كذلك ما قال مومن في هذا الباب :

ہائے صنم ہائے صنم لب پہ کیون　　خیر ہے مومن تمھین کیا ہو گیا

إنه استخدم كلمة "مومن" ضد "الصنم" فلو نستبدل كلمة "الصنم" بكلمة "بت" إنك لتحس بان الشعر قد فقد رونقه وجماله. كذلك هذا الشعر :

اس کوچے کی ہوا تھی کہ میری ہی آہ تھی　　کوئی تو دل کی آگ پر پنکھا سا جھل گیا

إنه استخدم كلمات "بنكها سا جهل كيا" هذا تركيب لطيف فإذا نستخدم كلمات "هوا دیے کیا " لتجد بأن الشعر قد فقد حسنه وجماله الخارجي.

كذلك هذا الشعر هو مثال رائع لانتقاء الكلمات :

تاثیر صبر مین نہ اثر اضطراب مین　　بیچارگی سے جان پڑی کس عذاب مین

يعني "لا يستقر للمحب قرار في حالة الفراق ، ونفسه البائسة قد وقعت في حب الغانية" فلو نستبدل كلمة "بيچاركَى" بكلمة "مصيبت" فلا يمكن الحفاظ على القيمة الفنية للشعر. هكذا رأينا بأن كلام مومن خان يتصف بانتقاء الكلمات وانسجامها بطريق مؤثر.

وكذا شأن البحتري في هذا المجال فإنه يمتاز بحسن الصياغة اللفظية وحسن السبك وحسن الديباجة في كلامه. فهو ينفخ في الشعر روح السلاسة واللطافة بانتقاء الكلمات وانسجامها فعلى سبيل المثال :

يتأبى منعما وينعم إسعا فا ويدنو وصلا ويبعد صدا

أغتدي راضيا وقد بت غضبا ن ، وأمسى مولي وأصبح عبدا

فإنه ذكر في هذا الشعر بأن الحبيب إذا أنعم إسعافا ودنا وصلا فالبحتري راض، وإذا تأبى وصد فالبحتري غضبان أو حزين. ولكن الشيء الذي يجدر بالذكر هو انتقاء الكلمات الملائمة للوزن الشعري ولا يمكن استبدال هذه الكلمات بكلمات أخرى مع الحفاظ على الروعة والجزالة للشعر.

كذلك يقول البحتري في مدح المتوكل :

الأرض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر

والشمس ماتعة ، توقد بالضحا طورا و يطفئها العجاج الأكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجي وإنجاب ذاك العثير

ذكر البحتري بأن الأرض كانت تطامن والجو معتكر ومغبر والشمس بلغ ضوءها غايتها والغبار قد تكدر ضوءها ولكن حينما جئت بوجهك الوضاء فانكشفت الظمات. إنه إستخدم هذه الكلمات بمناسبة موزونة فمثلا إذا نستبدل كلمة "ضوء" بكلمة "نور" ونقول : "بنور وجهك" فلا يستوفي المعنى الذي يريد الشاعر لأن الضوء فيه شدة وحرارة في النور برودة وخفة فنقول ضوء الشمس ونور القمر. فالجمال في هذه الأشعار يرجع إلى انتقاء الكلمات وانسجامها بطريقة مؤثرة.

كذلك هذا الشعر الذي استخدم كلمة "نور" مثلا :

حتى انتهيت إلى المصلى لابسا نور الهدى يبدو عليك ويظهر

إنه استخدم كلمة "نور" وكلمات مترادفة هي "ضياء" أو "لمعان" فإذا نستبدل هذه الكلمة ب"الضياء" أو "المعان" ونقول "ضياء الهدي" أو "لمعان الهدي" لتجد بأنه لا يمكن الحفاظ على الروعة والجزالة والموسيقى للشعر.

كذلك هذا الشعر الذي استخدم كلمة "مشيت" مثلا :

ومشيت مشية خاشع متواضع لله لا يزهى ، ولا يتكبر

فلو نستخدم كلمة "قدمت" مكان "مشيت" لفسد الوزن الشعري وينحط من مكانة الموسيقى الشعرية.

كذلك هذا الشعر يأتي من هذا الباب :

الله أعطاك المحبة في الورى وحباك بالفضل الذي لا ينكر

إذ أن البحتري استخدم كلمة "حباك بالفضل" في معنى "أعطاك بالفضل" فلو نستبدل هذه الكلمة بكلمة "هـــداك" لتجد بأن الشعر حتما قد فقد الروعة البيانية والقيمة الفنية.

كذلك هذا الشعر هو مثال رائع لانسجام الكلمات :

تتكشف الأيام من أخلاقه عن هدي مهدي ورشد رشيد

في هذا البيت أشار البحتري إلى الخليفتين ؛ المهدي والرشيد. وجاء بصفتين متباينتين لهما وكلاهما كلمـــات مترادفة فلو نستخدم صفة أولى مكان الصفة الثانية لما يبقى القيمة الفنية والروعة البيانية للشعر.

هكذا وجدنا بأن هذين الشارعين قد اشتركا اشتراكا كاملا في الهيئة الخارجية للشعر من ناحية انتقاء الكلمات وانسجامها.

المشاكلة بين اللفظ والمعنى :

كما ذكر صاحب مرأة الشعر بأن "الشعر الرفيع هو يتكون من الألفاظ الجزلة والخيالات البديعة والتعبـــيرات الصادقة " (1) وكما ذكر ابن رشيق في كتابه "العمدة" "اللفظ جسم والمعنى روح فالمشاكلة بينهما كالربط بين الروح والجسم" (2) فيتضح الأمر أمامنا بأنه لا بد للشعر الجيد الرفيع "المشاكلة لين اللفظ والمعنى" ونجد هذا اللون عند الشاعرين الأردي والعربي بدرجة كاملة :

أما مومن خان مومن فهو يمتاز ببراعته في اختيار الألفاظ الجزلة المتينة مع وفاء المعاني الرفيعة فهو يعتني "باللفظ والمعني" كليهما. هنا نقدم بعض أشعارا من قصيدته تؤكد هذا القول :

الحمد الواهب العطايا اس شور ني كيا مزه حكهايا

والشكر الصانع البرية جس نے هين آدمی بنايا

احسان هين اس كـــے كيا كران بار سر سبع شداد كا جهكايا

كيا پايهٔ منت سليمان اك بات مين تخت پر بٹهايا

كيون شكر كرين نه آل داؤد افسون شهنشهی سكهايا

مومن كو بقا هی بعد ديدار كيا مزده جانفزا سنايا

الله دكها دـــــے اپنا ديدار إكشف بجمالك العطايا

وقد جاء مومن في هذا الحمد "بالأخيلة البديعة الصادقة والألفاظ الملائمة وفيه سلامة التركيب وسلامة التعبير. وهذا الأسلوب قلما يوجد في الشعر الأردي" (3) فإنه يحمد الله الذي خلقه في أحسن تقويم وجعله من البشـــر ووعد المؤمنين برؤيته بعد الموت. وكذلك إنه يذكر خطاياه ويستغفر الله من كل الذنوب :

كتني هي قضا هوئين نمازين پر سر كو نه ياؤن ســـے اٹهايا

آيا نه كبهی خيال حج كا تلوا سو بار گر كجهايا

الله مرے گناه بے حد وه هين كه شرمسار كو ٹهكايا

وه رفعت دي كه حس نے منصور كو دار پر چڑهايا

---

(1) مرآة الشعر لعبد الرحمان البجنوري (2) العمدة لإبن رشيق نقلا عن شعر العجم ج/4 ص 72 (3) مومن شخصيـــت اور فـــن للدكتور ظهير احمد الصديقي ص 219

اُس کا مر ـــــے دل یه ایک یرتو　　جس شعله نـــے طور کو جلایا

مومن کهـــے کس ســـے حال آخر　　هـــے کون تر ـــــے سوا خدایا

فالألفاظ التي يستخدمها مومن في هذه القصيدة " الواهب" "شور" "مزه جكهايا" "الصانع البرية" "كران بار" "تخت بر بنهايا" "جانفزا " "سر و باؤن ســـــ اتهايا" "تلوا سو بار كجهايا" دار بر جرهايا" "طور كو جلايا" هي تعبر بأنفسها عن المعاني الرائعة والعواطف الصادقة لمومن خان وقلما يوجد هذا الشأن فـــي القصيـــدة الأردية. فإذا رأينا ألفاظها فحسب لوجدنا بأنها تحكي حكاية صادقة لقلب الشاعر فهو يحمد لله الذي خلق جميع المخلوقات واختار البعض منها أنبياء وملوك وقادة البلاد وأعطى الناس دينا حنيفا وأصولا كاملا للحياة ووعد المومنين بالفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة . فلذلك يتمنى الشاعر أن يهبه الله الحب الخالص لله ولرســـوله وأن يعطيه العزيمة الصارمة مثل المنصور وأن يوقد في قلبه شعلة أحرقـــت الطـــور. وأن يســـتجيب هـــذا المضطر الذي يدعو ربه من قلب صادق و ليس له أي نصير بدونه. هكذا نجد في هذه القصيدة "المشاكلة بين اللفظ والمعني" وهنا نقدم بعض أشعار من غزله توضح هذا اللون :

دوست كرتـــے هين ملامت غير كرتـــے هين كَله　　كيا قيامت هـــے مجهى كو سب برا كهنـــے كو هين

كيســـے كَلـــے رقيب كـــے كيا طعنـــے أقربا　　تيرا هى دل نه جاهـــــے تو باتين هزار هين

چهٹ كر كهان ا سير محبت كى زندكى　　ناصح يه بند غم نهين قيد حيات هـــــــے

شـــــب هـــجر مين كيا هجوم بلا هـــے　　زبان تهك كَنى مرحبا كهتـــــے كهتـــــے

ففي هذه الأشعار المتفرقة من غزله نجد المشاكلة بين اللفظ والمعنى. والألفاظ بأنفسها تحدث عن المعاني فهذه الأشعار تبين بأنفسها حكاية قلب الشاعر الهائم الذي يمارس الحياة مباشرا ويتذوق مرارته وحلاوتـــه وظلـــه حريره. ومع هذا لا يرضى من أن يعيش بدون الحب والصبابة والغرام لأن الحب مصدر رئيسي للحيـــاة و بدونه تكون الحياة كجسد بلا روح. فهنا نجد هذه "المشاكلة بين اللفظ والمعني" بطريق كامل.

وكذا شأن البحتري فهو يمثل هذا الطريق كما أشار إليه إبن شرف الجذامي : " أما البحتري فلفظه ماء ثجاج، ومعناه سراج وهاج على أهدى منهاج".(1) "لقد نجد عند البحتري ميزة المشاكلة بين اللفظ والمعنى فقد كان الإدباء والنقاد وعلى رأسهم الجاحظ يتواصون به كثيرا. وكان البحتري يستوفيه استيفاء غريبا. حتى لـــيرتفع في بعض مقطوعاته إلى هذا الأفق الذي عرف به بعض الشعراء الغربين من أمثال تنيسون وفرجيل ".(2)

---

(1) رسائل الإنتقاد لأبي شرف الجذامي ص 33 نقلا عن ديوان البحتري ج/4 حققه كامل الصيرفي. (2) الفن ومذاهبه في الشعـــر العربي للدكتور شوقي ضيف ص 81

فقد كان البحتري يشاكل بين ألفاظه ومعانية مشاكلة دقيقة إذ يقول في رثاء المتوكل :

محل على القاطول أخلق دائره عادت صروف الدهر جيشا تغـــادره

كأن الصبا توفي نذورا إذ انبرت تراوحـــــــه أذيالها وتبـــــــاكره

ورب زمان ناعم ثم عهده ترق حواشيه ويورق ناضـــــــــــره

تغير حسن الجعفري وأنســـــــــه وقوض باديّ الجعفر وحاضـــره

تحمل عنه ساكنوه فجاءة فعادت سواء دوره ومقابـــــــره

"فإنك تحس بالقوة والعنف في هذا الرثاء إذ اختار البحتري ألفاظه من ذوات الحروف الضخمة أو مـــن هـــذا النوع الذي كان يسمونه بالجزل لأنه غاضب ثائر كأنه ينحت الألفاظ نحتا يعبر عن هذا الغضب وتلك الثورة التي أعلنها فيما بعد من القصيدة ، إذ دعا إلى الانتفاض على من قتلوا المتوكل"(1) ففيه المشاكلة بين اللفـــظ والمعنى. إذ عبر بهذه الألفاظ التي تحكي حكاية غضبها وحزنها الثائرة. ولذلك هذه الأبيات التي يقولها فـــي وصف بركة :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبك تجري في مجـــاريها

إذا علتها أبدت لها حبـــكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها وريق الغيث أحيانا يباكيها

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

ففي هذه الأبيات يلائم البحتري بين ألفاظه ويرشع لقوافيه ويودع من حلية الصوت وزينته فالألفاظ بأنفاســـها تعبر عن معانيها. ويبدو من هذه الأشعار بأن "البركة عجيبة من عجائب العالم. فهي لفرط رتبتها واتســـاعها "تعد واحدة والبحر ثانيها" وهي لجمال صنعها ودقة فنها تعجز الإنس حتى ليجزم الناظر بأنها من روائع الجن ولتحسبها بلقيس قيصر سليمان الذي فاق كل فن وروعة. وتجد أن المياه تتدافع إليها سراعا كالخيل في حلبـــة للسباق ، ثم تطمئن فسيل في المجاري سبائك فضة خالصة مذابة لا تليث أن يتماسك حببها من مداعبة النسيم فيشكل درعا متعاقد الزرد. وتطل النجوم رانية إليها بشوق ، منعكسة في جنباتها فنشهد من تـــزاوج الصفـــاء والنور سماء تنبسط على صفحة الأمواه" (2)

---

(1) الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف ص 82 (2) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي لإيليـــا حـــاوي ص 167

فهذا مثال رائع للتوافق بين اللفظ والمعنى ونجد غير ذلك كثيرا من الأشعار على هذا المنوال. هكذا وجدنا بأن هذين الشاعرين البارعين قد إشتركا في "التوافق بين اللفظ والمعنى" إلى حد بالغ.

وخلاصة البحث هي أن هذين الشاعرين قد اشتركا في الهيئة الداخلية للشعر من حيث النسيب والغزل ومن حيث الندرة في الكلام والأسلوب وطريق الأداء ومن حيث الإباء والفخر الذاتي والاعتزاز بالنفس والأسلوب والشعر ومن حيث التعبير عن الخوالج النفسية الذاتية وكذلك اشتركا في الهيئة الخارجية للشعر من حيث الموسيقى الشعرية وانتقاء الكلمات والمشاكلة بين اللفظ والمعنى.

ووجدت خلال الدراسة بأن مومن خان قد فاق على شريكه الشاعر العربي - البحتري - في التفنن والتنوع في شعره والتعبير عن موضوعات الحب والمغازلة ، وله براعة كاملة في استخدام الخيالات الرفيعة في شعره وقد عجز البحتري عنها. وكما وجدت أن البحتري قد فاق على شريكه الشاعر الأردي - مومن خان مومن - في جزالة الألفاظ وسهولة العبارة ورقتها والدماثة الموسيقية والسلاسة التعبيرية حيث لم يصل إليه الشاعر الأردي.

وهذا أمر لا يبعث الاستعجاب لأن هذا التفوق قد حدث بسبب البيئة وطبيعة اللغة. فالشاعر الأردي قد تنفس في الهند حينما كان التدخل الفارسي مستحسنا في الشعر والشعراء الفارسيون يعتنون بالتفنن والتنوع في موضوعات الحب ، فحافظ مومن خان ذلك التقليد. وأما فكان من العرب الذين لديهم اللغة من مفخرتهم وأسباب عجبهم لذلك إنهم يفتخرون على عربيتهم ويسمونهم بالعرب ويدعون غيرهم بالعجم وهذا من داعية اللغة أن يعتني البحتري باللغة وجزالتها وسلاستها ورقتها.

مسك الختام

خلاصة البحث هي أن الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة الرفيعة. فالعاطفة والخيال والفكرة والأسلوب من أهم مكونات الشعر. أما الوزن والقافية فهما ليسلا من العناصر المكونة للشعر ولكنهما يزيدان الشعر رونقا وبهاء. فإذا فقد الكلام الوزن والقافية مع العناية بالقوة المتخيلة فنسميه "الشعر المنثور" وإذا كان الكلام خاليا من القوة المتخيلة ومتحليا بالأوزان والقوافي فحسب فنسمية "النظم" ولكن إذا وجدت جميع الشروط معتنيا بالوزن والقافية مع القوة المتخيلة فيكون شعرا في معنى الحقيقة.

الشعر له وجهين : وجه يتعلق بالهيئة الخارجية ووجه يتعلق بالهيئة الداخلية. أما الهيئة الخارجية فهي تحدث عن انتقاء الكلمات وانسجامها وعن جزالة الألفاظ ورقتها وعن الموسيقى اللفظية وسلاستها. وهي جسم الشعر تعتني بتهذيب بمحاسن الشعر الظاهرة لكي تميل إليه النفوس وتجذب إليه القلوب. ولا بدّ للهيئة الخارجية للشعر أن يكون الشاعر ملما بكل الإلمام باللغة وله يد طولى في انتقاء الكلمات وانسجامها وتخليق الروعة الساحرة حتى يتكلم الشعر بنفسه.

وأما الهيئة الداخلية فهي تتعلق بالمعاني الجميلة والخيالات الرفيعة والأفكار اللطفية. وهي روح الشعر تتدفق في جسمه وبدونه يكون الشعر جسدا بلا روح. وربيعا بدون نغمة البلابل وصحراء بدون المطر وسرابا بقعية يحسبها الظمآن ماء. فالهيئة الداخلية تنفخ في الشعر حرارة ويبعثه حيا. ومن هنا اختلف النقاد في أهمية اللفظ والمعنى في الكلام. فبعضهم يفضلون اللفظ على المعنى وبعضهم آخرون يرجحون المعنى على اللفظ ولكن الناقد الشهير أبن رشيق قد ذكر في كتابه "العمدة" : اللفظ جسم والمعنى روح فالتوافق بين اللفظ والمعنى كالربط بين الجسم والروح. فهذا يظهر بأن الشعر لا بدّ من أن يكون متحليا باللفظ والمعنى كليهما.

وكذا لا بدّ للشعر أن يكون خاليا من المبالغات والزخارف البيانية إلا أن تكون المبالغة مشروطة بقيد وأن تكون في الشعر الخيالات النادرة ففي ذلك الحين تكون المبالغة مقبولة ومستحسنة. وكذلك يكون الشعر مبنيا على الواقعية والحقائق الثابتة. فإذا وفيت هذه الشروط في الشعر فله تأثير أوقع في النفوس.

والشعر له علاقة وثيقة بالنفوس البشرية وجاء في حيز الوجود منذ أن بدأ الإنسان التعبير عن عواطفه وشعوره ولذلك يميل الإنسان إلى الأنغام والموسيقى في الكلام. فوجد الشعر في الهند والعرب كليهما منذ زمن قديم أما الشعر الأردي فهو حديث بالنسبة إلى الشعر العربي.

فقد نشأ الشعر الأردي وترعرع في القرن الثاني عشر الهجري حينما كان الشعر العربي قد بلغ إلـــى الفتـــوة والكمال وذاق في الأخير لذة الضعف والانحلال. أما الشعر الأردي في القرن الثالث عشر الهجري فقد دخل في مرحلة الفتوة والكمال بعد أن ذاق لذة التنميق والتصحيح والتهذيب. وجعل يتمتع الآن بالموسيقى والأنغـــام الشعرية وقد برز شعراء كبار في هذا القرن ومن أشهرهم مرزا أسد الله خان غالب ، ومومن خان مومـــن ، ومحمد إبراهيم ذوق ، وبهادر شاه ظفر ، وإمام بخش ناسخ ، وخواجه حيدر علي آتش. وكلـــهم لعبـــوا دورا رياديا في ترقية مستوى الشعر الأردي من الهيئة الخارجية والداخلية للشعر. وهكذا بلغ الشعر إلـــى مرحلـــة الفتوة والكمال وأصبحت الأصناف العديدة للشعر من الغزل والمثنوية والرثاء والمدح والهجاء مقبولـــة عنـــد المثقفين ومن له إلمام باللغة والأدب.

دخل في الشعر الأردي التفننات والتنوعات من حيث الموضوع والمعنى وامتاز الشعراء في هذا العصر عن المعاصرين من نواحي مختلفة ؛ فبرز مومن خان بالحب والمغازلة في الغزل ، وامتاز مرزا أسد الله خـــان غالب في بيان المعاني الفلسفية في الأشعار الغزلية ، وإبراهيم ذوق في السلاسة التعبيرية وبهادر شاه ظفـــر في استخدام المصطلحات اليومية ، امتاز إمام بخش ناسخ في انتقاء الكلمات وجزالتها ، وخواجه حيدر علي آتش في الدماثة الموسيقية العذبة. هكذا أصبح الشعر الأردي ريحانا من الأزهار المتلونة تفوح منها رائحـــة عطرة مزدوجة.

أما الشعر العربي فهو قد بلغ في العصر العباسي بعد الرحلة الطويلة في كان في الجاهلية أنغام صبي وفـــي الإسلام أناشيد جهاد وفي الأموية ثوران عصبية وأطماع حياة ثم استجار شبابة وإكتمل فـــي صـــدر الدولـــة العباسية. وذاق لذة التنميق والتهذيب في هذا العصر بلغ إلى ذروة من الكمال والمجد وظهر شعراء بـــارزون في الشعر العربي من أمثال بشار بن برد ، وأبي نواس وأبي العتاهية، وأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي وابن المعتز غيرهم كثيرون. فهولآء الشعراء كلهم مالوا إلى تهذيب الشعر وتحسينه من ناحيـــة الهيئـــة الداخليـــة والخارجية للشعر وبرعوا فيه براعة تامة. ولم يزل يجري الشعر على المنهج القديم للأصناف الشعرية مـــن المدح والرثاء والهجاء والعتاب والفخر والوصف. وأدخل بعض أصناف مثل القطعة الغزليـــة فـــي مقدمـــة القصيدة وكان البحتري من الذين نهجوا في هذا المجال فاستهل قصيدته من القطعة الغزلية ونفـــخ فيـــه روح المغازلة والمعاشقة بطريق متنوع. فهو إمام الطريقة العاطفية و بارع في بيان الوصف والتصوير عن أخلاق الممدوح ومحافظ للديباجة القديمة للشعر.

وكذلك أدخل بشار بن برد صنفا جديدا هو الغزل بالمذكر وامتاز أبو نواس بالخمريات والتنوع فيها وأبو العتاهية بالزهديات وإمتاز أبو تمام بإدخال المعاني الفلسفية في أشعاره وإمتاز المتنبي بالمدح فهو إمام الطريقة الإبداعية وفاق ابن المعتز بالمهارة العلمية. هكذا بلغ الشعر العربي إلى درجة الفتوة والكمال في العصر العباسي وأصبح الشعر مليئا بالأصناف العديدة وبالأفكار المتنوعة.

أما الشاعران فهو شاعر أردي عبقري - مومن خان مومن - نشأ وترعرع في بيئة علمية ودينية وأدبية حتى شب فصيح اللسان ، ناصع البيان ، وقادرا على جميع الأصناف الشعرية الأردية. ومال إلى الشؤون الوديعة في عنفوان شبابه وترك طريق المدرسة وسار على طريق الحب والمغازلة إذ وقع في حب حوريات أرضية مختلفة واحدة بعد واحدة وشرب كأس الحب العفيف العذري من حسنهن وجمالهن وتمتع بأنوار وجوههن وسحرة عيونهن. ففرح حبا ووفاء ، وتألم هجرا وجفاء. وسهر ليالي شوقا وانتظارا وتقلب اضطرابا وحرقة وتعبر عن هذه الخوالج النفسية في غزله ومثنويته في حجاب مستور مراعيا بالقوة المتخيلة والألفاظ السهلة والقدرة البيانية الساحرة حتى يتدفق شعره روعة وجمالا لفظا ومعنى. ويأتي بعض الأحيان بعض التعقيدات في التراكيب ولكنه جاء بهذه التعقيدات لكي يخفي أسراره الوديه ولكي لا يتمتع به إلا من أوتي له عقل سليم. فالحقيقة هي أنه برع في المغازلة والمعاشقة والحوار مع الحبيب وتذكرة الأيام السالفة التي قضاها في ظل شعر الحبيبة الحالك حتى نجد هذه الصبغة في كل أصناف شعره لذلك نعدّه إمام الغزل والمغازلة في الشعر الأردي.

إنه ألف شعره في ديوان رُتب وجمع فيما بعد باسم "ديوان مومن" وألف كتبا عديدة منها "إنشاء مومن" ورسالة مومن ترجمها الدكتور ظهير أحمد الصديقي إلى الأردية.

إن مومن خان نال مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة لدى الأدباء والشعراء المعاصرين له. ولقد إعترف النقاد بنبوغه وبراعته في الشعر العاطفي الوجداني الذاتي من أمثال مرزا أسد الله خان غالب فانه إستعد أن يعطي مومن جميع ديوانه بدلا من شعر واحد. وكذلك اعترف النقاد المتأخرون بفضله مكانته السامية في الشعر الأردي. وهكذا هذا الشاعر العبقري ، الذي نفخ في الشعر الأردي روح المغازلة في معناه الحقيقي وتفنن فيه كثيرا، وأعطى الشعر الروعة والجزالة والموسيقي الداخلية والخارجية، قد أكمل مدته وقضى نحبه ولبى داعي الأجل إذ توفي سنة 1851م.

وكذا شأن الشاعر العربي النابغ - أبي عبادة البحتري - عاش في القرن الثالث الهجري في العرب فقد ولد سنة 206 ه في منبج وتلقة الدراسة الإبتدائية فيها وحفظ القرآن والأشعار ورجع إلى كتب السير والأيام حتى مال إلى الشعر تاركا جميع أعماله الأخرى وشغلت باله الآن هموم الشعر فجعل يقرض أبيات حتى تلقى منزلة سامية عند أبي تمام بفضل شعره . وخلال سفره إلى حلب إنه وفه في حب غانية رشيقة "علوة" وتقلب في حبها وجمالها ونشأ كعاشق هائم وجعل يرغب في لقاءها ويفرح بحبها ووفاءها ويحزن في فراقها حرقة ولوعة ويسهر في انتظارها قلقا واضطرابا، حتى رحل إلى العراق تاركا حبيبته وراءه في حلب فجعل يرسل رسالة الحب والوفاء ويترقب بشدة للجواب ولكن بعد أن رفضتها ومزقت رسالته إنه جعل يتذكر الأيام التي قضاها في حلب مع الحبيبة ويظهر علامة الحب العذري الصادق والوفاء معها على أنه حتى الآن يبكي شوقا ولوعة في الفراق وحتى أن الناس جميعا يعرفون هذا الأمر. ولكن إلى متى تكون هذه الرغبة الجامحة وإلى متى يكون القلق والاضطراب لأن له هموم أخري سوى الحب والغرام.

كذلك توجه البحتري إلى الملوك والأمراء والأغنياء ومدح في شأنهم بطريق مختلفة وسار على المنهج التقليدي المعبد في التمدح وطلب العطاء حتى كسب أموالا طائلة عن هذا الطريق. ولكنه لم يتخل الشعر عن الروعة والجزالة والسهولة والسلاسة حتى برع في هذا المجال براعة فائقة وقد جاء بطريق نادر في الوصف أيضا ونهج طريقا جديدا فيه فأجاد في التصوير عن أخلاق الممدوح بحيث لا يأتي به معاصروه وكذلك يعتني في اللفظ والمعنى كليهما في أشعاره وأصبح شاعرا وجدانيا غنائيا وامتاز من ناحية الهيئة الخارجية والداخلية لذلك أصبح النقاد يشبهون شعره "بسلاسل الذهب" لعذوبته وجماله.

إنه ألف شعره في ديوان وقد رُتب وجمع فيما بعد باسم "ديوان البحتري" في خمس مجلدات. وكذلك إنه ألف كتاب "الحماسة" و "معاني الشعر".

احتل البحتري مكانة سامية ومنزلة رفيعة عند النقاد القدامى والمحدثين فكلهم يعترفون بفضله وبراعته في الجزالة والرصانة للشعر وفي المجال العاطفي الوجداني الذاتي له حتى أن أبي تمام خلع عليه تاج ولاية عهد إمارة الشعر. واعترف المتنبي بقوله "أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري". هكذا نجد أن هذا الشاعر العبقري النابغ الذي ملأ دنيا الشعر العربي بجزالة ألفاظه وصفاء ديباجته وسلاسة أسلوبه ورونق تعبيره وألذ طيفه وخياله ، قد ترك دنيا الشعر وقضى نحبه لبى نداء الأجل وتوفي سنة 284ه.

هكذا وجدنا أن هذين الشاعرين قد نهجا طريقا واحدا إلى حد بالغ واشتهرا كشاعرين غنائيين وطار صيتـــهما في العرب والهند في زمنهما. وأصبحا من كبار الشعراء وعظمائهم في عصريهما. واشتركا اشتراكا دقيقا في الفكرة والفن. فإذا فكرنا النقاط التي اتفق عليها هذان الشاعران وجدنا بأنهما سارا على منهج واحد في :

1- الغزل والنسيب : إنهما اشتركا في هذا الصنف من حيث الموضوع ومن حيث الشعر بالشعر. أمـــا من حيث الموضوع فنجد كليهما يذكران الحب والوفاء مع الحبيبة وفرح الوصال واللقاء معها والحزن والألم في فراقها وكلاهما يتذكران جفاء الحبيبة والتدلل المتنوع للحبيبة فيقول مومن خان مومن على سبيل المثال :

هـــے نگاه لطف دشمن پر تو بنده جائـــے هـــے یه ستم ا ـــــے بـــے مروت کس ســـے دیکها جائـــے هـــے

اثر اس کو ذرا نهین هوتا رنج راحت فزا نهین هوتا

تم مر ـــــے باس هوتـــے هو کویا جب کوئی دوسرا نهین هوتا

اس غیرت ناهید کي هر تان دیپک شعله سا لپک جائـــے هـــے آواز تو دیکهو

کسی کا هوا آج کل تها کسی کا نه هـــے تو کسی کا نه هو کا کسی کا

وه جو هم مین تم مین قرار تها تمهین یاد هو که نه یاد هو وهی یعني وعده نباه کا تمهین یاد هو که نه یاد هو

فيقول البحتري على شاكلته :

ردت إلي هدية لو أنها بعثت إلي بمثلها لم أردد

لم لا ترق لذل عبدك وخضوعه فتفي بوعدك

بيضاء يعطيك القضيب قوامها ويريك عينيها الغزال الأحور

تمشي فتحكم في القلوب بدلها وتميس في ظل الشباب وتخطر

ذو فنون يريك كل يوم حلفا من جفائه مستجدا

تذكر كم ليلة لهونا في ظلها والزمان نضر

أما من حيث الشعر بالشعر فيقول مومن :

تیر ـــــے فراق مین آرام ایک آن نهین یه هم سمجه چکـــے کر تو نهین تو جان نهین

فيقول البحتري على هذه الشاكلة :

وما أعطي القرار وقد تناءت وهذا الحب يمنعني قراري

2- الإباء : وكذلك نجد أن هذين الشاعرين يشتركان في أعمالهما من حيث الإباء والاعتزاز بـــالنفس والأسلوب. فيقول مومن خان :

مين روشن دان حكم برجيش مين ادا فهم سير كيواني

شاعر بـــے نظير هون سحر بيان دبير هون دم هـــے مرا نمونهٔ معجزه پيمبري

فنون نظم مين مين نـــے نكالى ايسى راه طريقه شعرائـــے سلف هوا مطموس

يقول البحتري على نفس الطريقة :

أنا البحتري بن البحاترة الألا هم عزوا الأيام بالنائل القمر

أنا الذي أوضحت عير مدافع نهج القوافي وهي رسم دارس

أهز بالشعر أقواما ذوي وسن في الجهل لو ضربو بالسيف ما شعروا

3- الندرة : وكذلك يشترك هذان الشاعران في الندرة من حيث الأسلوب وطريق الأداء والخيال فيقول مومن خان مومن :

تم مر ـــے پاس هوتـــے هو كوٗيا جب كوئى دوسرا نهين هوتا

إنه نفخ روح الحب الصادق في هذا الشعر باستخدام الخيال الرائع النادر وقال : حينما أنعزل عن الناس فأجد كأنك في مثواي قلبي وأعماق صدري. فأنه وصف حبه وغرامه بأسلوب حي نادر.

وكذلك فعل البحتري :

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لمشى إليه المنبر

فإنه نفخ في هذا الشعر روحا جديدا لبيان مكانة الخليفة وشعبيته عند الجميع سواء يتنفس أولم يتنفس فيقول : فلو أن المنبر يستطيع المشي ليهرول إلي الخليفة. فانه مدح الخليفة بطريق نادر غريب.

4- التعبير عن الخوالج النفسية الذاتية : إنهما يشتركان أيضا في أعمالهما الفنيـــة كشـــاعرين ذاتيـــن فإنهما يعبران عن همومهما آلامهما وفرحهما وسرورهما. كأن أشعارهما سيرة ذاتية تحكي حكاية قلب الشاعر وتعبر عن عواطفهما وشعورهما.

5- الموسيقى الشعرية : وكذلك إنهما اشتركا من حيث الموسيقى الشعرية في كلامهما فيتصف كلامهما بالجزالة والروعة والنغمة والقوة البيانية الساحرة. ونجد في أشعارهما اللطافة والرقـــة والدماثـــة والصفـــاء والرونق والجمال. وهذه كلها يضعّف شعرهما حسنا وجمالا وبهاء.

6- إنتقاء الكلمات : إنهما يشتركان في أعمالهما من حيث انتقاء الكلمات وانسجامها بطريـــق مؤثـــر. فانهما استخدما في أشعارهما ألفاظا مناسبا لا يمكن استبدالها بألفاظ أخري مع الحفاظ على القيمة الفنية للشعر. على سبيل المثال يقول مومن خان :

اثر اس كو ذرا نهين هوتا رنج راحت فزا نهين هوتا

فانه استخدم كلمة "ذرا" و "فزا" فاذا نستبدل هاتين الكلمتين بكلمات أخري لا يمكن الحفاظ على الروعة الفنيـــة الساحرة للشعر. كذلك يقول البحتري :

حتى إنتهيت إلى المصلى لابسا نور الهدي يبدو عليك ويظهر

إنه استخدم كلمة "نور" وكلمات مترادفة هي "ضياء" أو "لمعان" فإذا نستبدل هذه الكلمة ب"الضياء" أو "المعان" ونقول "ضياء الهدي" أو "لمعان الهدي" لتجد بأنه لا يمكن الحفاظ على الروعة والجزالة والموسيقى للشعر.

7- المشاكلة بين اللفظ والمعنى : كذلك إنهما يشتركان في أعمالهما الفنية من هذه الناحية فانهما اعتنيا اعتناء كاملا بالمشاكلة بين اللفظ والمعنى. واستخدم الألفاظ كأنها تحدث بأنفسها لمعانيها على ســـبيل المثـــال يقول مومن خان مون :

دوست كرتـــے هين ملامت غير كرتـــے هين كله كيا قيامت هـــے مجهى كو سب برا كهنـــے كو هين

كيســـے كلـــے رقيب كـــے كيا طعنـــــ أقربا تيرا هى دل نه چاهـــــے تو باتين هزار هين

فالألفاظ وتراكيبها تدل على معانيها بأنفسها. إنه استخدم التركيب "كيا قيامت هـــــ مجهى كو سب برا كهنـــــ كو هين" وهذا يحكي حكاية صادقة عن معانيها بأن كل من يعرفني يشير إلى بنان السب والستم، فـــاي ذنـــب فعلته. ولذلك إنه يقول في شعره الآخر بأن الحبيبة إذا لم ترغب في الحب والوفاء ، فلمـــاذا هـــذا الشكـــوى. فالألفاظ بأنفسها تحدث عن معانيها. وكذلك نجد هذا الشأن في شعر البحتري فهو يقول في وصف البركة :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبك تجري في مجـــاريها

يلائم البحتري بين ألفاظه ويشاكل بين معانيه فالألفاظ بأنفاسها تعبر عن معانيها. ويبدو من هذه الأشعار بـــأن "البركة عجيبة من عجائب العالم. تجد أن المياه تتدافع إليها سراعا كالخيل في حلبة للسباق ، ثم تطمئن فسيل في المجاري سبائك فضة خالصة مذابة لا تلبث أن يتماسك حببها من مداعبة.

هكذا نجد أن هذين الشاعرين اشتركا اشتراكا كاملا في الفكرة والفن.

محتويات الرسالة

المحتويات

المقدمة ..... 1 - 4

101 الشعر كما هو (5 -- 25)

10101 تعريف الشعر ..... 5 - 7

10101 بين الشعر والنظم ..... 7 - 7

10101 أنواع الشعر ..... 8 - 13

10101 أغراض الشعر وتأثيره ..... 14 - 17

10102 الشعر الأردي في القرن الثالث عشر الهجري ..... 18 - 20

10103 الشعر العربي في العصر العباسي الثاني ..... 21 - 25

201 مومن خان مومن ، حياته وفـنه (26 -- 52)

20101 الحياة السياسية ..... 26 - 28

20102 الحياة الاجتماعية ..... 29 - 29

20103 الحياة العقلية ..... 30 - 31

20104 ولادة مومن ونشأته ووفاته ..... 32 - 34

20105 معاشقته مع الغواني ..... 35 - 38

20106 آثاره الأدبية ..... 39 - 39

20107 صورته الجسمانية والنفسية ..... 40 - 42

20108 منزلته ..... 43 - 44

20109 فنون شعره ..... 45 - 52

202 أبو عبادة البحتري ، حياته وفـنه (53 -- 71)

20201 الحياة السياسية ..... 53 - 54

20202 الحياة الاجتماعية ..... 55 - 56

20203 الحياة العقلية ..... 57 - 58

20204 ولادة أبي عبادة البحتري ونشأته ووفاته ..... 59 - 61

20205 آثاره الأدبية ..... 62 - 62

20206 صورته الجسمانية والنفسية ..... 63 - 64

20207 منزلته ..... 65 - 65

20208 فنون شعره ..... 66 - 71

301 المشاركة الفكرية والفنية في الهيئة الداخلية للشعر (72 -- 88)

30101 النسيب والغزل ..... 72 - 79

30102 الإباء ..... 80 - 81

30103 الندرة ..... 82 - 83

30104 التعبير عن الخوالج النفسية الذاتية ..... 84 - 88

302 المشاركة الفكرية والفنية في الهيئة الخارجية للشعر (89 -- 99)

30201 الموسيقى الشعرية ..... 89 - 91

30102 إنتقاء الكلمات ..... 92 - 95

30103 المشاكلة بين اللفظ والمعنى ..... 96 - 99

303 مسك الختام ..... 100 - 106

المراجع والمصادر ..... 109 - 114

قائمة المراجع والمصادر

المراجع والمصادر العربية :

1- ديوان البحتري (في أربع مجلدات) عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي مصر (دار المعارف) 1972م.

2- الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي نشرها أحمد صقر (طبعه دارالمعارف) 1961م

3- طبقات الشعراء لإبن معتز تحقيق عبد الستار مصر (دارالمعارف) 1968م

4- الأغاني ج/24 لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق إبراهيم الأنباري 1972م

5- معجم الأدباء للياقوت المجلد العاشر في عشرين جزءا الطبعة الثالثة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1980م

6- المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير قدمه وعلق عليه دكتور أحمد الجوفي و الدكتور بدوي طبانه القسم الثالث دار النهضة بمصر

7- صبع الأعشى للقلقشندي الجزء الأول والثاني الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م

8- أخبار البحتري للصولي حققها صالح الأشتر دمشق والمجمع العلمي العربي 1985م

9- مروج الذهب (ج/4) للمسعودي بيروت (دار الأندلس) 1983م

10- وفيات الأعيان لإبن خلكان تحت إسم الوليد (حرف الواو)

11- الموازنة بين الشعراء لزكي مبارك القاهرة 1936م.

12- الموازنة بين الطائيين لمحمد مندور القاهرة 1944م.

13- أبو عبادة البحتري لمحمد صبري القاهرة 1946م

14- طيف الوليد أو حياة البحتري لعبد السلام رستم القاهرة (دار المعارف) 1947م.

15- عبقرية البحتري لعبد العزيز سيد الأهل بيروت (دار العلم للملائين) 1953م

16- حياة البحتري وفنه لأحمد أحمد بدوي القاهرة (مكتبة الأنكليو) 1955م

17- البحتري للدكتور أحمد أحمد البدوي مصر (دار المعارف) 1969م.

18- البحتري لنديم مرعشلي بيروت (دار الشرق الجديد) 1960م

19- الجديد في البحث الأدبي لحنا الفاخوري بيروت (دار الكتاب البناني)

20- المديح للسامي الدهان مصر (دار المعارف) 1968م

21- تارخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان(الجزء الثاني) بيروت (دار مكتبة الحياة)

22- الشعر والشعراء في العصر العباسي الدكتور مصطفى الشكعة (دار العلم للملائين)

23- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي لأنيس المقدسي (دار العلم للملائين) 1978م

24- من تارخ الأدب العربي (العصر العباسي) للدكتور طه حسين ج/2 (دار العلم للملائين) 1982م

25- تاريخ لأدب العربي (العصر العباسي الثاني) لشوقي ضيف دار المعارف 1968م

26- الوصف في الشعر العربي لعبد العظيم علي قناوي الجزء الأول القاهرة 1949م

27- شعر الطبيعة في الأدب العربي لسيد نوفل القاهرة 1949م

29- تاريخ الأدب العباسي ليتولد . أ . نكلسن ترجمة وتحقيق الدكتور صفاء خلوصي بغداد (المكتبة الأهلية) 1967م

30- الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف دارالمعارف 1968م

32- دولة المغول في الهند لمحمد يوسف كوكن مدراس (دار حافظة للطباعة)

33- المنهاج في الأدب العربي ج/1 للدكتور عمر فرّوخ بيروت (دار العلم للملائين)

34- تاريخ الأدب العربي ج/2 للدكتور عمر فرّوخ بيروت (دار العلم للملائين) 1985م.

35- المؤجز في الأدب العربي وتاريخه ج/3 وضعه لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية (دار المعارف)

36- فصول في الأدب والنقد للدكتور طه حسين مصر (دار المعارف) 1969م.

37- تاريخ آداب العرب ج/1 لمصطفى صادق الرافعي لبنان (دار الكتاب العربي) 1974م.

38- تاريخ الآداب العربية ج/1 تحقيق دكتور علي نجيب عطوي (مؤسسو عز الدين) 1985م.

39- مفتاح السعادة ج/1 طبع الهند

40- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي لإيليا حاوي بيروت (دار الكتاب) 1967م

41- تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن زيات الطبعة الرابعة والعشرون.

42- الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية الدكتور محمد سامي الدهان دارالمعارف بمصر 1969م.

43- فصول في الشعر ونقده الدكتور شوقي ضيف دار المعارف بمصر 1971م

المراجع والمصادر الأردية :

1- كليات مومن طبعه نول كشور لكناؤ

2- ديوان مومن خان مرتبه بروفيسيور ضياء أحمد بدايوني

3- انتخاب ديوان مومن مع شرح وتنقيد لحامد حسين قادري علي جره انجمن ترقي اردو 1976م

4- كليات مومن مع مقدمه للدكتور مسيح الزمان إله آباد 1871م

5- ديوان مومن خان مرتبه دكتور أنوار الحسن دهلي اردو بازار 1971م

6- مقدمه شعر وشاعري لمولانا الطاف حسين حالي مكتبة جامعة دهلي.

7- آب حيات لمحمد حسين آزاد لكناؤ اردو اكادمي 1982م

8- ياد كار غالب لمولانا الطاف حسين حالي

9- انتخابات شبلي لسيد سليمان الندوي اعظم جره مطبعة معارف 1986م

10- شعر العجم لشبلي النعماني

11- خوش معركه زيبا لسعادت خان ناصر علي جره 1261ه

12- كلدسته نازنينان لكريم الدين علي جره 1845م

13- طبقات الشعراء لكريم الدين علي جره 1848

14- اردو غزل للدكتور يوسف حسين خان

15- دلي كا دبستان شاعري دكتور نور الحسن هاشمي اداره فروغ اردو لكناؤ 1971م

16- لكهنؤ كا دبستان شاعري دكتور ابو الليث الصديقي

17- تاريخ نظم ونثر اردو لأغا محمد باقر عالمكير بريس 1942م

18- غزل اور مطالعه غزل دكتور عبادت بريلوي

19- ادب كا مقصد دكتور نور الحسن هاشمي

20- كلاسيكي ادب دكتور خواجه احمد الفاروقي

21- اردو شاعرى بر ايك نظر كليم الدين

22- افادات سليمه لوحيد الدين سليم تصحيح وترتيب دكتور خليق انجم مكتبـــة

23- جامعة ليميتيد نئي دهلي 1983م.

24- ادب كا مطالعه لأطهر برويز علي جره اردو كهر 1980م.

25- ذوق وحستجو خواجه أحمد الفاروقي مطبعة جمال للطباعة دهلي 1968م

26- جديد ادب منظر اور بس منظر جعفر عسكري لكناؤ اردو اكادمي مطبعة نامي 1978م

27- سفينه غزل لسيد محمد عباس رهور تاج كمبني ليميتد

28- كلاسيكي اردو شاعرى كى تنقيد لطارق سعيد علي جره 1991م

29- ميخانه غزل (الجز الأول) لعطاء الرحمان عطا كاكوي بتنه 1971م

30- ميزان قدر للدكتور ظهير أحمد الصديقي علي جره نيشنل بك هاؤس

31- شراب كهنه لرشيد نعماني مكتبة جامعة نئي دهلي ليميتيد.

32- فن كى جانج لسيده جعفر

33- مومن شخصيت اور فن للدكتور ظهير أحمد الصديقي دهلي (مطبعة يونين) 1972م

34- حيات مومن لضمير الدين غرشي

35- مومن خان للدكتور ظهير أحمد الصديقي ساهتيه اكادمي 1985م

36- مجلة غالب نامه (مومن نمبر) المجلد-7 العدد-2- يوليو 1985م نئي دهلي ايوان (غالب).

37- مقالة ظهير احمد الصديقي مجلة آجكل العدد-3- سبتمبر 1976م

38- انتخاب كلام مومن نياز فتحبوري (مجلة نكار ، مومن نمبر) لكناؤ 1928م

المراجع المصادر الإنجليزية :

1- A history of Urdu literature By Ali Jawad Zaidi Sahitya Akadami 1993

2- Later Mughal By W. Irvine

3- Fall of Mughal empire By Sarkar

4- Twilight of Mughals By Spear

5- Indian Muslims By W.W. Hanter